إشكالية تحريف الأناجيل في الكنيسة الأرثوذكسيّة الأب متى المسكين نموذجًا

الدكتـــور
أحمد السيد عبد الحميد محمد الفار
مدرس العقيدة والفلسفة
بكليّة أصول الدين والدعوة بالمنصورة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛

فإنّ القرآن الكريم عندما تحدّث عن الإنجيل، تحدث عنه باعتباره كتابًا مقدسًا أنزله الله على عيسى بن مريم عليه السلام، ووصفه بأنّ فيه هدى ونور؛ قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة:٤٦]

ومن ثمّ فإنّ الإسلام جعل الإيمان بالإنجيل من المنظومة الإيمانيّة للمسلمين، أمّا بحوث المسلمين عن تحريف الأناجيل فالمقصود بها الأناجيل التي اعتمدها النصارى، وهي إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا، وهي الموجودة بين أيدينا اليوم، فهم يبحثون عن اتصال السند بين هذه الأناجيل والسيد المسيح حتى يصح الجزم بأنّها على صلة وثيقة به أو لا.

وفي المقابل فإنّ المسيحيين الأرثوذكس اليوم لا يعتقدون بكتاب أنزل على عيسى عليه السلام، كيف وهو الله بزعمهم؟! ومع هذا يجزمون بأنّ هذه الأناجيل الأربعة يستحيل عليها التحريف، وقد كتب أحدهم كتابًا بعنوان: "استحالة تحريف الكتاب المقدس"(١)، والحكم بالاستحالة لا

---

(١) للقمص مرقص عزيز خليل.

بدّ أن يكون مبنيًا على يقين؛ فالمستحيل ما لا يتصور العقل وجوده، أي أنّ العقل قد حكم بعد تصور الموضوع والمحمول أنّه لا يمكن تحريف الكتاب المقدس، ومن ضمن ما استندوا عليه آيات من القرآن الكريم يزعمون أنّها تقضي بعدم تحريف الأناجيل، والسؤال الذي يطرح نفسه، هل المنهج الذي اتبعه هؤلاء الرهبان منهج يفيد اليقين؟ أقصد يفيد الجزم بأنّ الأناجيل لم يصبها تحريف؟

إنّ المتتبع لآراء رهبان الكنيسة الأرثوذكسيّة حول الأناجيل الأربعة يجد أنّهم يجزمون أنّ هذه الأناجيل كُتبت بإلهام من الروح القدس؛ فهو الذي أملى الأناجيل على كاتبيها، وما كان لهم دور فيها إلا أن أمليت عليهم، وبالتالي لا عبرة بالكاتب إن كان ثقة أو مجهولاً، ولا عبرة كذلك باتصال السند بعيسى عليه السلام، وإذا كتبت الأناجيل الأربعة بإلهام فلا يوجد تناقض فيها.

وقد كان هناك رأي آخر داخل الأرثوذكسيّة المعاصرة لأحد الرهبان الكبار، وهو الأب متى المسكين، الذي رأى أنّ الإلهام هو عبارة عن شعور الإنسان بأنّه على الحق، فلم يلغ كاتب الإنجيل - كما فعلت الكنيسة -، ولم يلغ مصادره، ولم يلغ كذلك السند، ومن ثمّ تطرّق لموضوع التناقض بين الأناجيل.

ومن هنا فقد توجهتُ لدراسة رأي متى المسكين فيما يتعلق بالأناجيل الأربعة، وقد قسمتُ البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أمّا المقدمـة فقـد أشرتُ فيهـا إلى أهميّة الموضـوع، وتحـدثتُ في التمهيد عن المقصود بالكنيسة الأرثوذكسيّة، وعن نبذة مختصرة عن متى المسكين.

وجـاء المبحـث الأوّل بعنـوان: الظـروف المحيطـة بنـشأة المـسيحيّة والتحريف.

وجاء المبحث الثاني بعنوان: متى المسكين والأناجيل الأربعة. ويتكون مـن مطلبـين: الأوّل: فكـرة الإلهـام بـين متـى المـسكين وآبـاء الكنيـسة الأرثوذكسيّة المعاصرين، والثاني: الأناجيـل الأربعـة سـندًا في فكـر متـى المسكين.

المبحث الثالث: تناقض الأناجيل الأربعة وموقف متى المسكين منه.

الخاتمة، وتشتمل على أهمّ النتائج.

والله أسأل أن يحظى هذا البحث على القبول ،،،

تمهيد

أولاً: تعريف الكنيسة الأرثوذكسيّة(١)

بعد إقرار التثليث كعقيدة للنصارى في مجمع(٢) نيقيّة سنة ٣٢٥م، حدث انقسام بين النصارى، نتج وجود كنيستين: الكنيسة الأرثوذكسيّة، والكنيسة الكاثوليكيّة.

وسبب هذا الانقسام الاختلاف حول طبيعة المسيح، هل له طبيعة واحدة هي الطبيعة الإلهيّة أو له طبيعتان بشريّة وإلهيّة؟

ويرجع هذا الانقسام إلى مجمع خلقدونية المنعقد عام ٤٥١م، وقد قرر هذا المجمع أنّ المسيح له طبيعتان إحداهما إنسانيّة يشارك فيها الناس والأخرى لاهوتيّة، وأقنوم الابن مكون من الطبيعتين، وهذا القرار يخالف قرار مجمع أفسس الثاني الذي قرر أنّ المسيح له طبيعة واحدة تجسّد فيها العنصر اللاهوتي من الروح القدس، ومن مريم العذراء مصيرًا هذا الجسد معه واحدًا وحدة ذاتيّة جوهرية منزهة عن الاختلاط

---

(١) الأرثوذكسيّة كلمة يونانيّة تعني الرأي القويم أو الإيمان المستقيم.

(٢) هي جماعات شوريّة تجمع رجال الدين المسيحي لإقرار عقيدة أو نفي أخرى، وهي قسمان: مجامع مسكونيّة، أي تجمع رجال الكنائس المسيحية في كلّ أنحاء المعمورة، وأخرى مكانية وهي التي تعقدها كنائس مذهب أو أمّة في دوائرها الخاصة من أساقفتها وقساوستها إمّا لإقرار عقيدة، أو لرفض عقائد أخرى. انظر: محاضرات في النصرانيّة، الإمام محمد أبو زهرة، ص١٢١، دار الفكر العربي – القاهرة، الثالثة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٦م.

والاستحالة، بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشيئة واحدة.[١]

ومن نتائج هذا المجمع لعن كلّ من يخالف العقيدة التي أقرّها، فلعنوا ديسقورس بطريرك الإسكندريّة، ونفوه إلى فلسطين، «ولما طرق مسامع المصريين ما لحق ببطريركهم من الحرمان والعزل هاجوا وغضبوا، واتفقوا على عدم الاعتراف بقرار المجمع الذي أصدر هذا الحكم، وأعلنوا رضاهم ببقاء هذا البطريرك رئيسًا عليهم، ولو أنّه محروم مشجوب، وأنّ إيمانه ومعتقده هو عين إيمانهم ومعتقدهم، ولو خالفه فيهما جميع أباطرة[٢] القسطنطينيّة، وبطاركة روميّة، والذي أغضب المصريين كثيرًا هو أنّهم اعتبروا أنّ الحكم الذي صدر ضد بطريركهم ماس بحريتهم الوطنيّة، مجحف بحقوقهم السياسيّة، ولو أنّه حكم ديني صرف لا يهمهم أمره».[٣]

واستقرّ هذا الانقسام بين الكنيستين إلى اليوم، يقول الأنبا يؤانس: «كانت النتيجة المباشرة لقرارات مجمع خلقدونية سنة ٤٥١م، هي الانقسام الأوّل لكنيسة المسيح، فقد وصمت الكنائس الغربيّة الكنائس الشرقيّة أنها مونوفيزيت (تؤمن بطبيعة واحدة في المسيح)، بينما وصفت الكنائس الشرقية الكنائس الغربية بأنّها ديوفيزيت (تؤمن بطبيعتين في

(١) انظر: محاضرات في النصرانيّة، الإمام محمد أبو زهرة، ص١٣٩

(٢) في الأصل إمبراطرة.

(٣) تاريخ الأمّة القبطيّة، ا. ل. بتشر، ج٢، ص٥٧، مطبعة مصر بالفجالة، ١٩٠١م.

المسيح)، وقد قاد أقباط مصر حركة المونوفيزته (=الأرثوذكسيّة) في كلّ الشرق ... وقد بلغ الجدل اللاهوتي بين الأرثوذكسيين (المونوفيزيين) في كنيسة الإسكندريّة وبين أصحاب مذهب الطبيعتين في روما والقسطنطينيّة مبلغًا تجاوز حد اللياقة، وكان هو أساس الصدع الذي حدث بين الكنائس الشرقيّة والغربيّة».[١]

وبهذا يمكن القول بأنّ الأرثوذكسيّة هي فرقة من النصارى المثلثة تؤمن بأنّ المسيح له طبيعة واحدة هي الطبيعة الإلهيّة.

ثانيًا: من هو متى المسكين؟

كتب متى المسكين سيرته الذاتيّة عام ١٩٨٧م، وطلب عدم نشرها في حياته، ذكر فيها أنّه ولد في بنها في ٢٠ سبتمبر عام ١٩١٩م في أسرة فقيرة[٢]، إذ كان أبوه موظفًا في السكة الحديد.[٣]

واسمه قبل الرهبنة يوسف اسكندر، وقد نشأ فقيرًا[٤]، وفي عام ١٩٣٥م التحق بمدرسة شبين الكوم الثانويّة[٥]، والتحق بكليّة الصيدلة جامعة فؤاد الأوّل وتخرّج منها عام ١٩٤٤م، وفتح صيدليّة في دمنهور.[٦]

---

(١) مذكرات في تاريخ الكنيسة القبطيّة بعد مجمع خلقدونية، الأنبا يؤانس، ص١، الكليّة الإكليريكيّة اللاهوتيّة للأقباط الأرثوذكس، ١٩٩٧م.

(٢) متى المسكين السيرة الذاتيّة، ص١، دير الأنبا مقار، الثالثة، ٢٠١١م.

(٣) انظر: نفس المصدر السابق، ص٦.

(٤) انظر: نفس المصدر السابق، ص٤.

(٥) انظر: نفس المصدر السابق، ص٥.

(٦) انظر: نفس المصدر السابق، ص١٢.

في مدارس الأحد:

أنشأت مدارس الأحد بهدف مقاومة التبشير الكاثوليكي في مصر، وقد بدأ متى المسكين الاتصال بهؤلاء من عام ١٩٤٠ – ١٩٤٣م[١]، ويظهر من كلامه أنّهم انحرفوا عن أهدافهم، فشاعت فيهم روح التعصب فلم يستمر معهم؛ وفي هذا يقول: «ولكن كانت الصدمة الكبرى في مساء يوم كنّا مجتمعين فيه في منزل الاستاذ سعد عزيز بالجيزة "فيما بعد المتنيح الأنبا صموئيل أسقف الخدمات" في اجتماع محبة. وطرح أحد الاخوة سؤالاً عن علاقتنا بالبروتستانت. فتبرع أحد المسئولين بالرد الذي يفهم منه ألا نتعامل معهم، بدأت أنا أتساءل لماذا؟ فتطور الرد الي الأمر "وكان المتكلم هنا هو المرحوم المهندس يسي حنا مدير شركة ماركوني اللاسلكية سابقا" ألا نضع يدنا إلا في يد من يؤمن بمبادئنا! فاعترضتُ وقلتُ إنّ هذه عزلة وليست بحسب الإنجيل، وهنا طرحت أنا سؤالا محرجًا ـ ولكن يقطع في الأمر ـ هل لن يدخل الملكوت البروتستانت والكاثوليك؟ وكان رئيس الجماعة جالسًا يسمع واسمه ظريف عبد الله "فيما بعد المتنيح القمص بولس بولس راعي كنيسة دمنهور" فأخذ السؤال من فمي وطرحه للاستفتاء العام للجماعة الجالسة وكانوا نحو ٢٠ شابًا، فكان الرد بالإجماع أن لا بروتستانتي ولا كاثوليكي سيدخل الملكوت طبعًا! وإلا فما قيمة الأرثوذكسيّة؟ وهنا فهمت أني

---

(١) انظر: نفس المصدر السابق، ص٦.

أمام كارثة إيمانيّة بل كارثة وطنيّة وشعبيّة معًا، ولكن على ضوء هذا الاستفتاء بدأت أفهم الأمور من حولي».[(١)]

فالرجل يكره «عتمة العقول وضيقها وانحصارها في أفق شخصي ورؤية ضيقة»[(٢)]، ويسمح بالاختلاف بل ويحب من اختلفوا معه في الدين، وليس في الطائفة فقط؛ ومن ثمّ يقول: «إني رجل اجتماعي أحب الناس والناس يحبونني»[(٣)]، «والعجيب أنّ صداقتي وحبي للمسلمين كان موضع تساؤل مستمر من المسيحيين وكأنّه أمر يؤذيهم، فكنت أزداد عجبًا وغيرة فأحدثهم عن أصالة الوعي المسيحي أنّه وعي إنساني قبل كلّ شيء».[(٤)]

فالرجل من المسالمين المحبين للمخالفين، ولا يقصي الآخر المخالف.

دخوله سلك الرهبنة:

في عام ١٩٤٨م قرر متى المسكين ترك الحياة المدنيّة وقرر دخول حياة الرهبنة؛ يقول: «تركت ورائي منزلي بأثاثاته، وكتبي وملابسي وحقائبي، وكلّ أموالي ووزعتها وخرجت من دمنهور ومعي جنيهان أجره المواصلات حتى الدير».[(٥)]

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٧، ٨

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٤

(٣) نفس المصدر السابق، ص١١

(٤) نفس المصدر السابق، ص٧، ٨

(٥) نفس المصدر السابق، ص١٦

ولكنّ الرجل صدم في الدير صدمة كبيرة؛ إذ رأى الرهبانيّة نوعًا من أنواع استعباد الإنسان لأخيه الإنسان؛ وفي هذا يقول: «ولكن الرهبنة كانت عند الرهبان في منتصف القرن الماضي، سواء الصغار أو الكبار تسير مغمضة في العبوديّة الإنسانيّة الجديدة للإنسان، بلا مقابل إلهي يعكس ما كان لها من ماض مشرق في مفهوم الحريّة الروحيّة، حتى صارت الرهبنة نوعًا من الخضوع الخانع والتقيد بمفاهيم الرؤساء وطاعة ميولهم الشخصيّة غير الإنجيليّة، وأوامرهم التعسفيّة بدون نقاش مستغلين المقولة المتوارثة "إنّ الرهبنة طاعة" ... ولكنّ أصل الطاعة في الرهبنة أنّها كانت للأب الروحي والمختبر المطيع لله».[1]

وبالطبع فإنّ مواجهة هذا الأمر سيوجه له مشكلات متعددة فيما بعد.

تاريخ طويل من الصدامات مع البطاركة:

إنّ القارئ لتاريخ متى المسكين يجد أنّه عاصر ثلاثة من البطاركة، وهم يوساب الثاني، وكيرلس، وشنودة الثالث، ويجد أنّ متى المسكين كان على خلاف معهم جميعًا، وقد كان أشدها مع كيرلس الذي جرده من رتبته الكنسيّة، واضطرّه إلى اللجوء إلى وادي الريان ليعيش مع اثني عشر راهبًا في مغارات في الصحراء، قرابة العشر سنين حيث الوحوش والمياه غير العذبة، حتى اعتلّت صحته، وضعفت قواه.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١٩ باختصار.

والسؤال ما هي الدوافع من أجل هذه الخلافات؟

إنّ مفتاح شخصيّة متى المسكين يكمن في أنّ الرجل لا يقبل الطاعة العمياء، والرجل إصلاحي داخل المنظومة الكنسيّة، ومن ثمّ كان يُعمر كلّ دير يدخله، ويصلح ما فسد من حال الرهبان، فالرهبنة عنده هي سياحة في البريّة وليست جلوسًا في الأديرة، فالجلوس في الأديرة رهبنة مصطنعة، والرجل كذلك كان ذا عقليّة تسامحيّة فلم يكن ممن يطلب العداوات، وهذا جلب عليه المتاعب، فضلاً عن أنّ الرجل كان متحررًا في فكره فكان يجهر بما يراه حقًّا.

وإذا استقرئنا خلافه مع البطاركة الثلاثة وجدناه لا يخرج عن هذه الأسباب؛ فخلافه مع يوساب خلاف مع الفساد الإداري داخل الكنيسة، وخلافه مع كيرلس من أجل عدم الطاعة العمياء، وخلافه مع شنودة من أجل الاستقلال الفكري.

انتداب متى المسكين للعمل وكيلاً للبطرك يوساب وصدامه الأوّل:

في عام ١٩٥٤م انتدب متى المسكين للعمل وكيلاً للأنبا يوساب الثاني، ومن ثمّ بدأ الإصلاح، إلا أنّ بعض المنتفعين لم يعجبه هذا؛ يقول متى المسكين: «وبدأت أعين المسئولين في كلّ كنيسة لحصر الدخول في الخدمات فارتفع الدخل سريعًا، مما غطي الديون في ثلاثة أشهر، ولكن يظهر من هذا أنّ الكهنة كانوا يتقاضون من هذه الدخول لأنفسهم ما يزيد علي ثلاثمائة جنيه شهريًّا للواحد! وهنا بدأ تكتل الكهنة للتخلص مني بأيّة وسيلة، حاولوا كثيرًا وكثيرًا لدي البطريرك، واستخدموا وكيل

المجلس الملي... وأخيرًا استطاعوا بمعاونة مطرانين أفلحوا في إقناع البطريرك بتعيين وكيل غيري».[1]

فآثر الرجل الابتعاد عن المنصب، وخلا بنفسه في مغارته.

صدامه مع الأنبا كيرلس:

بعد وفاة الأنبا يوساب وقع الاختيار على مينا المتوحد، الأنبا كيرلس، وهو أستاذ متى المسكين، وعلى إثر خلافات مع رئيس دير الأنبا صموئيل الذي نزل فيه متى المسكين وأتباعه، أخبر رئيس الدير بأنّ متى المسكين وأتباعه يشعلون الدير فغضب عليهم الأنبا كيرلس، وبعد أحداث كثيرة يذكر متى المسكين أنّه «وصلنا أمرٌ بأن نغادر القاهرة في ظرف ٢٤ ساعة على يد اثنين من المطارنة هما أنبا بنيامين مطران المنوفيّة السابق وأنبا مينا مطران جرجا الحالي فغادرناها إلى وادي الريان، ظللنا نعبد ونصلِّي ١٠ سنوات حتى وصلنا أمر بالعودة فعدنا، ولله الأمر أولاً وآخرًا».[2]

وبعد هذه المدة الطويلة من النفي والطرد، رأى الأنبا كيرلس إعادته إلى دير الأنبا مقار، وظلّ متى المسكين فيه دير الأنبا مقار حتى وفاته.

وكان هناك خلاف بين شنودة ومتى المسكين وهو في مجمله سياسي وديني، حيث إنّ الأب متى المسكين كان يرى أن تبتعد الكنيسة عن

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٥ باختصار.

(٢) القديس أثانسيوس الرسولي، مت المسكين، هامش ص٢٤٩، دير الأنبا مقار، وانظر: متى المسكين السيرة الذاتيّة، ص٣٤.

السياسة، وأن تهتم بالإصلاح الديني، وهذا كان مخالفًا لتوجهات الأنبا شنودة، وكانت لمتى أيضًا آراؤه المخالفة للكنيسة الأرثوذكسيّة، مما جعل الأنبا شنودة يرد عليه في كتابه النقد الكتابي، وكتابه بدع حديثة.

وظلّ متى المسكين مدافعًا عن أفكاره إلى أن توفي في فجر يونيه عام ٢٠٠٦م.

مؤلفاته:

لمتى المسكين مؤلفات كثيرة تجاوزت ١٨٠ مؤلفًا، غير المقالات التي كان يكتبها في الصحف والمجلات، أولها: كتابه حياة الصلاة الأرثوذكسيّة، وأهمها: شروحه للأناجيل الأربعة، وشرحه لسفر أعمال الرسل، والقيامة والصعود، والمسيح والمسيا، ودراسة الأصول الأرثوذكسيّة الآبائيّة، والكنيسة والدولة، والقديس بولس الرسول حياته ولاهوته وأعماله، والقديس أثناسيوس الرسولي، والتقليد، والتجسد الإلهي. وغيرها من المؤلفات.

المبحث الأوّل: الظروف المحيطة بنشأة المسيحيّة والتحريف

تمهيد:

في الحقبة الزمنيّة التي ظهر فيها المسيح عليه السلام كانت فلسطين تحت الحكم الروماني، وقد عَيّنَ الإمبراطور أغسطس هيرودوت حاكمًا[١]، وكان هيرودت غير يهودي وإن تظاهر باليهوديّة، ولم «يشعر بأي روابط بالقانون اليهودي، وعمل على جعل فلسطين مملكة رومانيّة تابعة، وإبعادها عن الدين قدر الإمكان، وجعلها هيلينيّة. ويمكن تشبيهه بأفراد عائلة طوبيا من العصر السلوقي الذين تظاهروا باليهوديّة ولم يكونوا يهودًا».[٢]

ولم يكن هيردوت بالنسبة لأفراد الجالية اليهوديّة إلا «منافقًا نصف يهودي في الظاهر، ووثني تمامًا في الواقع، ظالمًا محبًا لسفك الدماء».[٣]

وحكم ثلاثًا وثلاثين سنة، وقبل وفاته عام ٤ق.م كتب وصيته بتقسيم أملاكه بين أفراد عائلته، وصادق أغسطس على وصيته.[٤]

وما يهمنا هنا أنّ أرخليوس بن هيردوت هو الذي تسلّم منطقة فلسطين، واستمرت إدارته من عام ٦ – ٤ ق.م، «وكان لزواج أرخليوس

---

(١) من عام ٤٠ ق.م.

(٢) تاريخ فلسطين القديم، د. سامي سعيد الأحمد، ص٣٣١، مركز الدراسات الفلسطينيّة، بغداد.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٣٣٩

(٤) انظر: نفس المصدر السابق، ص٣٣٩

من أرملة أخيه اسكندر "كلافيرا" علاقة بتذمر الجالية اليهوديّة منه؛ حيث يمنع القانون الموسوي زواج الأخ من أرملة أخيه المتوفى، إذا كان لها منه أطفال، وكانت لها منه ثلاثة أطفال ... فشكاه اليهود إلى سيده أغسطس الذي استمع لشكواهم، وأخرج أرخيلوس من الإدارة، ونفاه إلى فينا». [١]

وصارت الإدارة بعد أرخليوس إلى الرومان فأصبحت تدار مباشرة من قبل الرومان، وكان للحاكم المعين سلطات عسكريّة على الجيوش التي في منطقته، إلى جانب سلطاته القضائيّة، وإن اعترف بالسانهدريم[٢] لفض قضايا الجالية اليهوديّة عدا الموت الذي جعله حكرًا عليه.[٣]

وهؤلاء الحكام على هذا الترتيب:

١- كوبونيوس من عام ٦ - ٩م

٢- امبيبولوس من ٩- ١٢م

٣- انيوس روفوس ١٢ – ١٥م

٤- فيلاريوس كراتوس ١٥ – ٢٦م

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٣٣٩ باختصار.

(٢) السنهدريم هو: مجلس اليهود الكبير، وهو المحكمة العليا للأمة اليهوديّة، وكان يمثل الشعب أمام الرومان، ويتكون من واحد وسبعين عضوًا، وقد توقف عمل السنهدريم بعد عام ٧٠م بعد خراب أورشليم. انظر: قاموس الكتاب المقدس، القس منيس عبد النور وآخرين، ص٤٨٩، دار الثقافة، العاشرة، ١٩٩٥م.

(٣) انظر: تاريخ فلسطين القديم، د. سامي سعيد الأحمد، ص٣٤٠.

٥- بونتيوس بـايلوت ٢٦ – ٣٦م، وهـو الـذي أصـدر حكـم الإعـدام على المسيح عليه السلام.

٦- مارسيليس وحكم سنة واحدة.

ومن العام السابع والثلاثين حدث تغير هام إذ استطاع هـيرود أكريبـا، وهـو حفيـد هـيرودوت الكبـير، أن يتقـرب مـن الإمبراطـور الرومـاني كاليوجولا فعيّنه مكان عمه فيليب، وأصبح بعد ذلك حـاكمًا عـلى جميـع ضفة نهر الأردن الغربيّة في عهد الإمبراطور كلوديوس، «وعنـد وصـوله إلى فلسطين سـنة ٤١م أظهـر نفـسه للجاليـة اليهوديّة في القـدس متـدينًا متمسكًا بأهداب الدين فقدّم المال للمعبد اليهودي».[١]

وهو الذي اضطهد تلاميذ المسيح عليه السلام إرضاء لليهود كـما جـاء في سفر أعمال الرسل.[٢]

وبعد موت هـيرود أكريبـا جعـل الإمبراطـور الرومـاني منطقـة حكمـه تحت الحكم الروماني المباشر[٣]، وقد بدأ الاضـطهاد باسـم الرومـان مـن عهد نيرون الذي حكم بعد كلوديوس.

ومن هنا نستطيع أن نقسم الاضطهاد الذي تعرض له المسيحيون إلى قسمين تبعًا لمرحلتين زمنيتين، المرحلة الأولى: ما قبل نـيرون، والثانيـة: مرحلة نيرون وما بعده.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٣٤٣

(٢) سفر أعمال الرسل، الأصحاح ١٢، فقرة ٣

(٣) تاريخ فلسطين القديم، د. سامي سعيد الأحمد، ص٣٤٣

المطلب الأوّل: اضطهاد اليهود للمسيحيين

ففي المرحلة الأولى كان الاضطهاد واقعًا من قبل اليهود، الذين كان لهم وضع خاص داخل الإمبراطوريّة الرومانيّة، فقد «تمتعت الجماعات اليهوديّة التي قطنت حوض المتوسط، وحتى التي سكنت روما نفسها، بوضع خاص طيلة حقبة الإمبراطوريّة الرومانيّة، وقد سمح لها ذلك بممارسة شعائرها الدينيّة بحُريّة وأعفاها من عبادة الإمبراطور».[١]

وكانت عبادة الإمبراطور حق لمجلس الشيوخ الروماني الذي يقرر – بعد موت الإمبراطور – أنّ هذا الإمبراطور قد أتى بأعمال جليلة للدولة، فيضمونه لقائمة الآلهة[٢]، وكان الشعب مجُبرًا على السجود لتمثاله، ولم يُقدم إمبراطور على إجبار الناس على عبادته حيًا إلا قلائل مثل: كاليجولا[٣]، وهذا كان أوّل الخلاف بينه وبين اليهود في آخر حياته، ولم يعبد اليهود كاليوجولا؛ فقد مات قبل المواجهة معهم.[٤]

---

(١) المسيحيّة في القرن الأوّل، بيار كانيفيه، منشور ضمن المسيحيّة عبر تاريخها في المشرق، ص٤٣، ٤٤، الثانية، ٢٠٠٢م، وانظر: موسوعة الحضارة المسيحيّة، جورج فيليب الفغالي، ج١، ص١١٠، دار نبوليس، بيروت، الأولى، ٢٠١٠م.

(٢) انظر: الإمبراطورية الرومانية، أ. ب تشارلز ورث، ص ١٦٥، ترجمة رمزي عبده جرجس، مراجعة الدكتور: محمد صقر خفاجة، مكتبة الأسرة، ١٩٩٩ م.

(٣) نفس المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) انظر: تاريخ الإمبراطوريّة الرومانيّة السياسي والحضاري، د. سيد أحمد علي الناصري، ص١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، دار النهضة العربيّة، القاهرة، الثانية، ١٩٩١م، والإمبراطوريّة الرومانيّة من النشأة إلى الانهيار، د. أحمد غانم حافظ، ص١١٥، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ٢٠٠٧م.

وقـد أُرسـل المـسيح - عليه السلام - إلى اليهـود في عهـد الإمبراطـور تيبيريوس، وقد كان متسامحًا مع اليهود، وقد كان التقسيم الإداري للدولة الرومانيّة يقضي بأن يكون هناك حاكم لسوريا، وتقع تحت إمرته فلسطين وهـو حـاكم اليهـود، وفي العـام الـسادس قبـل المـيلاد، وضـعت اليهوديّة والسامرة تحت الوصاية الرومانيّة (أي تحت حكم ولاة رومانيين) وكانت نظرة الرومان لمشكلة المسيح عليه السلام مع اليهود على أنّها مشكلة يهوديّة، فالاضطهاد في بادئ الأمر كان يهوديًا؛ فاليهود كما يقول يوحنا لـورنس: «وخاصة الفريسيين ورؤساء الكهنة، الذين وبخهم (المسيح عليه السلام) بكـلّ حريّة، تفكروا ضدّ حياته خائفين من أن يفقدوا كراماتهم وسطوتهم ما دام المسيح يعلّم جهارًا. ولكنّ حِيَل هؤلاء الأشرار لم تجُدهم نفعًا، عـلى زمان طويل، غير أنّ تلميذه عديم الشكر يهوذا أخبر عن مكان انفراده السري ليلاً، فمسكه الجند بأمر السانهيدرم. فوقف أولاً أمام كهنة اليهود، والسيناتوس[1] حيث شكى عليه بأنّه نقض الناموس وجدّف على عظمته تعالى، وساقوه من هناك إلى محلّ قضاء بيلاطس الحاكم الروماني؛ وقرفوه بالفتنة والخيانة على قيصر، فلا تهمة من هذه التهم كافية لتقنع قضاة مستقيمين عادلين بأن يحكموا عليه، لكنّ صياح الشعب المهيج بالكهنـة المنـافقين أجـبر بـيلاطس كرهًـا عنـه عـلى أن يحكـم عليـه بالموت».[2]

---

(١) أعضاء مجلس الشيوخ الروماني.

(٢) تـاريخ المـسيحيّة القديمـة والحديثـة في سـت كتـب، يوحنـا لـورنس، ص١٥،

ويرى أرنست ماسون أنّ اليهود ثاروا على التماثيل الرومانيّة ولإخماد الثورة استجاب حاكم فلسطين الروماني فصلب المسيح عليه السلام ليخمد ثورتهم، وفي هذا يقول: «وفي فلسطين ثار اليهود على تلك التماثيل؛ لأنّ القانون الروماني كان يقضي بعبادتها، ولكي يهدئ الحاكم بونتيوس بيلات من ثائرة اليهود، فإنّه رأى أن يسترضيهم بالاستجابة إلى طلب المجمع اليهودي "السنهدرين" بصلب رجل معين».[1]

ففي عهد تيبيريوس وكاليوجولا، لم يكن هناك اضطهاد باسم المسيحيّة؛ إذ أنهّم لم ينظروا إليها على أنهّا ديانة مستقلّة خارج النطاق اليهودي، أو لم يكن لها انتشار واسع يجعلهم ينظرون إليها باعتبارها ديانة ذات أتباع؛ ومن ثمّ فإنّ الكُتاب يكادون يجمعون على أنّ الاضطهاد المسيحي بدأ بنيرون، وإن كان تيبيريوس وكاليوجولا من الجبابرة الظالمين.

ففي مرحلة ما قبل نيرون كان الظلم واقعًا على تلاميذ المسيح عليه السلام من قبل اليهود، وكان عدد من آمن بالمسيح عليه السلام مائة وعشرين رجلاً؛ يقول ابن حزم: «وَأما النَّصَارَى فَلَا خلاف بَين أحد مِنْهُم وَلَا من غَيرهم

ترجمة: هنري هرس جسب، المطبعة الأمركانيّة في بيروت، ١٨٧٥م.

(١) الإمبراطور الرهيب تيبيريوس، أرنست ماسون، ص١١١، ترجمة: جمال السيد، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

فِي أَنه لم يُؤمن بالمسيح فِي حَيَاته إِلَّا مائَة وَعِشْرُونَ رجلا فَقَط هَكَذَا فِي الإفركسيس(١)».(٢)

وقد ورد في أعمال الرسل: «وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ قَامَ بُطْرُسُ فِي وَسْطِ التَّلاَمِيذِ، وَكَانَ عِدَّةُ أَسْمَاءٍ مَعًا نَحْوَ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ».(٣)

والمقربون منهم للمسيح اثني عشر رجلاً، وقد تعرّض كلّ من آمن بدعوة المسيح عليه السلام للاضطهاد والقتل - كما تقول المصادر المسيحيّة -، فقتل استفانوس، ويعقوب بن زبدي، ويعقوب البار، وقد اتخذ الاضطهاد أشكالاً متنوعة منها: من مات مرجومًـا كاستفانوس، والمرجوم آنذاك كانت «تربط يداه ورجلاه ثمّ تخلع عنه ملابسه، ولا يبقى منها إلا ما يستر عورته، ويطرح من ارتفاع عشرة أقدام إلى الأرض،

---

(١) الإفرسكيس أو الإبركسيس كما في تاريخ ابن البطريق حيث قال: "وكتب (لوقا) الإبركسيس الذي هو أخبار التلاميذ". التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، سعيد بن البطريق، ص٩٦، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٥م. والإبركسيس هو بعد الأناجيل الأربعة من حيث التعظيم عند النصارى ومعروف باسم أعمال الرسل.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، ج٢، ص٤، مكتبة الخانجي – القاهرة.

(٣) أعمال الرسل الأصحاح الأوّل فقرة ١٥

ثمّ يرجم بحجر كبير على صدره فوق القلب، ثمّ يكمل الواقفون عمليّة الرجم حتى يموت المحكوم عليه».[1]

ومنها: من قتل بقطع الرقبة كيعقوب بن زبدي؛ يقول يوسبايوس القيصري: «أمّا بخصوص يعقوب هذا فإنّ إكلمينضس في الكتاب السابع من مؤلفه وصف المناظر يروي رواية جديرة بالذكر، ناقلاً إياها كما وصلت إليه ممن عاصروه. فيقول: إنّ الشخص الذي قاد يعقوب إلى المحاكمة تأثر عندما رآه حاملاً شهادته، واعترف أنّه هو أيضًا مسيحي، ثمّ يقول: إنّ كليهما اقتيدا معًا إلى الخارج، وفي الطريق توسّل إلى يعقوب أن يسامحه. أمّا هو فبعد تفكير قصير قال: سلام معك، وقبّله. وهكذا قطعت رأس كليهما في وقت واحد».[2]

ومن هذه القصة يظهر مدى الاضطهاد الذي تعرّض له تلاميذ المسيح، بل من آمن يكون مصيره القتل!

وقد كان مصير يعقوب البار كسابقيه إلا أنّهم ألقوه من مكان مرتفع، ولكنّه لم يمت «فبدأوا يرجمونه لأنّه لم يمت بسبب سقوطه ... وتقدّم

---

(١) شخصيّة استفانوس، د. حنا مهني، ص٦، مراجعة القمص باخوم حبيب، إصدارات كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا مصر.

(٢) تاريخ الكنيسة، يوسبايوس القيصري، ص٧٨، تعريب القمص مرقص داود، القاهرة الحديثة للطباعة، ١٩٧٩م.

أحدهم، وكان قصّارًا، وضرب البار على رأسه بالعصا الذي كان يضرب به الملابس. وهكذا استشهد». [1]

وظلّ هذا الاضطهاد الدامي من قبل اليهود حتى خراب أورشليم يقول ول ديورانت: «ثمّ حدث حوالي عام ٤١ أن قُتل رجل يدعى أنّه يعقوب بن زبدي، فقبض على بطرس ولكنّه فرّ. ثمّ قُتل يعقوب العادل في عام ٦٣. وبعد أربعة أعوام من ذلك الوقت ثار اليهود على روما. وأيقن المسيحيون المقيمون في أورشليم أنّ "نهاية العالم" قد دنت، فلم يأبهوا بالشؤون السياسيّة، وخرجوا من المدينة وأقاموا في بلاد الوثنيّة الضالعة مع روما والقائمة على الضفة البعيدة من نهر الأردن، وافترقت اليهوديّة والمسيحيّة من تلك الساعة، فاتُّهم اليهود المسيحيين بالخيانة وخور العزيمة، ورحّب المسيحيون بتدمير الهيكل على يد تيطس تحقيقًا لنبوءة المسيح، واتقدت نار الحقد في قلوب أتباع كلا الدينين، وأملت عليهم بعض ما كتبوا من أعظم آدابهم تقى وصلاحًا. وأخذت المسيحية اليهودية من ذلك الوقت يقل عدد أتباعها وتضعف قوتها وتترك الدين الجديد للعقليّة اليونانيّة تشكله وتصبغه بصبغتها». [2]

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١٠٤، ١٠٥ باختصار.

(٢) قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى: ١٩٨١م)، ج١١، ص٢٤٤، ٢٤٥، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود

وفي هذه الحقبة ظهر رجل يُدعى بولس، كان له أثر كبير في المسيحيّة، حتى إنّ المسيحيّة أضحت تنسب إليه أكثر ما تنسب للمسيح نفسه، ومن ثمّ فإنّه يتحتم على الباحث التعرض لبولس وقصة دخوله المسيحيّة.

وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، : ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

المطلب الثاني: **ظهور بولس في هذه فترة الاضطهاد الأولى وأثره على الديانة**

يقول كُتاب النصارى: إنّ تلاميذ المسيح لم يكونوا من ذوي الثقافات وأرباب العلوم بل كانوا بسطاء وأميين، ولهذه الأميّة أثرها؛ فلم يستطيعوا جدال اليهود ومجاراتهم، ولم يستطيعوا دفع شبه الوثنيين كذلك؛ يقول يوحنا لورنس: «وبما أنّ **هؤلاء الاثنى عشر رسولاً كانوا جميعهم بسطاء وأميين**، وكانت الجماعة المسيحيّة في طفوليتها احتاجوا إنسانًا يهجم على علماء اليهود والفلاسفة الوثنيين ويهزمهم بأسلحتهم، فعيّن المسيح ذاته بصوت من السماء رسولاً ثالث عشر يدعى شاول، وتسمى بعد ذلك بولس، **وكان من أهمّ أعداء المسيحيين**، **غير أنّه كان حاذقًا ماهرًا في علوم اليهود**، **وليس غبيًّا في علوم اليونانيين، والعالم المسيحي مديون لهذا الإنسان الغريب في شجاعته وقوّة عقله**».(١)

من هذا النص يفهم أنّ تلاميذ المسيح لم يكونوا على علم كاف حتى يناظروا معارضيهم، ولم يكونوا بذات المقدرة والمهارة التي يتسم بها بولس، وبولس لم يكن من تلاميذ المسيح، ولم يلتق به ولم يعرفه، وأنّه كان خبيرًا بدين اليهود، ويعلم كذلك فلسفة اليونان، فبولس بهذه الحيثيّة سيطر على عقول وقلوب المسيحيين بدأ من بعض التلاميذ البسطاء الأميين، نهاية بالنصارى المعاصرين، فقد نال بولس أهميّة كبيرة في الدين المسيحي، فهو كما يقول الأب متى المسكين: «ألمع شخصيّة بعد

(١) تاريخ المسيحيّة القديمة والحديثة في ست كتب، يوحنا لورنس، ص١٧

المسيح في الأناجيل، وفي بقيّة الأسفار في العهد الجديد»[١]، وهو «أهمّ شخصيّة ظهرت في تاريخ المسيحيّة بعد المسيح نفسه».[٢]

ولإبراز أهميّة بولس بالنسبة للكنيسة الأرثوذكسيّة بصفة خاصة، والكنائس بصفة عامة؛ فإنّ ربع مدونات العهد الجديد كلها منسوبة إليه؛ يقول متى المسكين: «من بين السبعة والعشرين سفرًا التي يضمها العهد الجديد والتي احتفظت بها الكنيسة في قانونها، له منها أربع عشرة رسالة: ثلاث عشرة تحمل اسمه وإمضاءه، والأخيرة وإن لم تحمل اسمه فهي تحمل روحه وفكره، وهي منسوبة له كنسيًّا. وهذه الرسائل في مجموعها تزيد على ربع مدونات العهد الجديد برمته».[٣]

فبولس بالنسبة للكنيسة الأرثوذكسيّة هو عمود الإيمان كما يطلق عليه متى المسكين[٤]، فمن هو هذا الإنسان الذي يدين له العالم المسيحي بالولاء؟

---

(١) القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، ص١٧، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، الأولى، ١٩٩٢م

(٢) المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، ص٣٤٤، دار الثقافة المسيحيّة، القاهرة، ١٩٨٠م.

(٣) القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، ص١٧، ١٨

(٤) انظر: الكنيسة والدولة: الطائفيّة والتعصب، متى المسكين، ص٤٩، مطبعة دير الأنبا مقار، السابعة ٢٠٠٩م.

إنّ المصدر الذي يستقي منه المعلومات عن بولس هو رسائل بولس وسفر أعمال الرسل، وسفر أعمال الرسل كما يقول متى المسكين وغيره كتبه لوقا الطبيب[1] وهو تلميذ بولس، فمصدر السفر بولس نفسه، وما جاء فيه من أخبار هي ما ذكره بولس دون غيره.

واسم بولس هو شاول، وشاول اسم عبراني «ويعني بالعبريّة "المُشتَهَى - شوقي" أو المطلوب في الصلاة».[2]

واختلف النصارى في سبب ازدواج اسم بولس فذهب أوريجانوس إلى أنّ الاسمين أعطيا لبولس منذ الولادة، وهو ما يذهب إليه متى المسكين الذي يعلل هذا بأنّ اليهود في الشتات يعطون للمولود اسمين أحدهما عبراني، والآخر يتناسب مع لغة أهل البلاد، واسم بولس روماني وشاول عبراني.[3]

وذهب أغنطيس إلى أنّ شاول أخذ اسم بولس في بداية عمله كمبشر، وذهب غيره إلى أنّ شاول أعطى اسم بولس لنفسه بعد أن عمَّده سرجيوس.[4]

---

(١) انظر: القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، ص١٩

(٢) نفس المصدر السابق، ص٣٧

(٣) انظر: نفس المصدر السابق، ص٣٧

(٤) انظر: نفس المصدر السابق، ص٣٧.

وقد ولد بولس -كما يقول عن نفسه في سفر أعمال الرسل - في طرسوس[١] بولاية كِيلِيكِيَّةَ[٢]، ويرجح يوحنا ذهبي الفم أنّه ولد سنة ٢ ميلاديّة.[٣]

وإذا كان شاول ولد في طرسوس فإنّه تربى كما يقول في أورشليم[٤]، وجاء في سفر أعمال الرسل أنّه قال عن نفسه أنّه روماني[٥]، ولا شك أنّ

---

(١) كانت طرسوس كما يقول الأنبا غريغوريوس: «تتمتع بالامتيازات الرومانيّة؛ إذ لمّا أنشأ الرومان مقاطعة كِيلِيكِيَّةَ سنة ٦٤ ق م في الجنوب الشرقي لأسيا الصغرى جعلوا طرسوس مقرّ الحكم الروماني، وكانت فيها مدرسة جامعة اعتبرت الثالثة في الأهميّة والشهرة العالميّة بعد مدرستي أثينا والإسكندريّة، وهي الآن مدينة تركيّة وتحتفظ باسمها في طرسوس». موسوعة الأنبا غريغوريوس، الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي في الكنيسة الأرثوذكسيّة المصرية، ج٦، ص٥١، جمعيّة الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي، الأولى، ٢٠٠٦م.

(٢) أعمال الرسل، الأصحاح الحادي والعشرون، فقرة: ٣٩

(٣) انظر: القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، ص٣٨

(٤) أعمال الرسل، الأصحاح الثاني والعشرون، فقرة: ٣

(٥) جاء في سفر أعمال الرسل ما نصه: «فَلَمَّا مَدُّوهُ لِلسِّيَاطِ، قَالَ بُولُسُ لِقَائِدِ الْمِئَةِ الْوَاقِفِ:«أَيَجُوزُ لَكُمْ أَنْ تَجْلِدُوا إِنْسَانًا رُومَانِيًّا غَيْرَ مَقْضِيٍّ عَلَيْهِ؟» فَإِذْ سَمِعَ قَائِدُ الْمِئَةِ ذَهَبَ إِلَى الأَمِيرِ، وَأَخْبَرَهُ قَائِلاً:«انْظُرْ مَاذَا أَنْتَ مُزْمِعٌ أَنْ تَفْعَلَ! لأَنَّ هذَا الرَّجُلَ رُومَانِيٌّ». فَجَاءَ الأَمِيرُ وَقَالَ لَهُ: «قُلْ لِي: أَنْتَ رُومَانِيٌّ؟» فَقَالَ: «نَعَمْ». فَأَجَابَ الأَمِيرُ:«أَمَّا أَنَا فَبِمَبْلَغٍ كَبِيرٍ اقْتَنَيْتُ هذِهِ الرَّعَوِيَّةَ». فَقَالَ بُولُسُ:«أَمَّا أَنَا فَقَدْ وُلِدْتُ فِيهَا». وَلِلْوَقْتِ تَنَحَّى عَنْهُ الَّذِينَ كَانُوا مُزْمِعِينَ أَنْ يَفْحَصُوهُ. وَاخْتَشَى الأَمِيرُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ رُومَانِيٌّ، وَلأَنَّهُ قَدْ قَيَّدَهُ». الأصحاح الثاني والعشرون، الفقرات ٢٥ - ٢٩

هذا يتعارض مع يهوديته، ويفسر الشيخ أبو زهرة ادعاء الرومانيّة «عندما رأى أن جسمه سيكوى بالسياط. فأعمل الحيلة، عساه يجد مخرجًا، فأدعى أنّه روماني لينجو جلده، وقد تمّ له ما أراد بتلك الحيلة التي احتلها في انتسابه، وأصرّ عليها عندما روجع فيها».(١)

ويرى الأنبا غريغوريوس أنّ ادعاءه الرومانيّة راجع إلى أنّ «ميلاده في طرسوس من مقاطعة كِيلِيكِيَّةَ كان يتمتع بالامتيازات والرعويّة الرومانيّة؛ ولذلك وصف نفسه بأنّه روماني».(٢)

وهو كلام غير دقيق لأنّ طرسوس فازت بالحكم الذاتي كمدينة حرّة سنة ٦٧ق م(٣)، وبناء عليه فيستحيل أن يحصل هو على الرعويّة الرومانيّة لأنّه ولد بعد الحكم الذاتي، ولذلك فإنّ متى المسكين يقول: «ويبدو أنّ والد القديس بولس أو أحد أجداده نال هذه الرعويّة الرومانيّة نظير عمل مجيد قام به أثناء حرب من الحروب لحساب الدولة أو الإمبراطور».(٤)

وهو كلام لا دليل عليه؛ فهو قائم على الظنّ والتخمين، وظاهر نص أعمال الرسل أنّ بولس تحايل على الرومان كي ينجو من السياط.

---

(١) محاضرات في النصرانية، الإمام محمد أبو زهرة، ص٧١

(٢) موسوعة الأنبا غريغوريوس، الأنبا غريغوريوس، ج٦، ص٥٢

(٣) انظر: القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، ص٣٨

(٤) نفس المصدر السابق، ص٤٠

ثـمّ إنّ بـولس يقـول عـن نفسه إنّه «مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ، عِبْرَانِيٌّ مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ. مِنْ جِهَةِ النَّامُوسِ فَرِّيسِيٌّ».[١]

والفريسيون هم «أكثر المذاهب تشددًا وتمسكًا بأحكام الشريعة»[٢]، والفريسيّة «تغـذي الـنفس بـروح الذاتيّـة والغطرسـة، بخـداع الـذات والرياء».[٣]

ثقافة بولس:

كان بولس يهوديًّا فريسيًّا تعلم على يد غمالائيل[٤]، «وهو واحد من حكماء إسرائيل السبعة المشهورين الذين لهم لقب "رابان"».[٥]

جاء في سفر أعمال الرسل: «رَجُلٌ فَرِّيسِيٌّ اسْمُهُ غَمَالاَئِيلُ، مُعَلِّمٌ لِلنَّامُوسِ، مُكَرَّمٌ عِنْدَ جَمِيعِ الشَّعْبِ».[٦]

---

(١) رسالة بولس إلى أهل فيلبي، الإصحاح الثالث، فقرة: ٥

(٢) موسوعة الأنبا غريغوريوس، الأنبا غريغوريوس، ج٦، ص٥٣

(٣) القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، ص٥١

(٤) حاخام يهودي، عضو في السنهدريم، ورئيسه حسب ما ورد عنه في التلمود، وهو فريسي، وأحد اللاهوتيين اليهود المعروفين جدًا في القرن الميلادي الأول. وكان غمالائيل أول من طالب برفع القيود عن رسل المسيح والكف عن اضطهادهم. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٦٦٢

(٥) القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، ص٤٧

(٦) أعمال الرسل، الأصحاح الخامس، فقرة: ٣٤

وقد تكونت ثقافة بولس الدينيّة على يد غَمَالاَئِيل، وكذلك درس «اللغة اليونانيّة والاستشهاد بالكُتاب اليونانيين».[١]

ومن هنا تكونت لبولس ثقافتين؛ الثقافة اليهوديّة، والثقافة اليونانيّة، إلا أنّه كما يقول الأب فاضل سيداروس اليسوعي: «تطوّر تدريجيًّا من اليهوديّة إلى الهلينيّة بسبب رسالته لدى الأمم، ولكن دون أن يفقد كلّ مكتسبات ديانته اليهوديّة القديمة، بل نصر كلا الثقافتين بحسب مقتضى الحال والظروف التي عايشها، وفي سبيل توصيل المسيح إلى الجميع دون استثناء».[٢]

وهو متأثر باليونان، ويظهر تأثره عندما يتحدث «عن الحريّة والعقل والضمير والفضيلة، وكلها تعابير اشتهر بها مذهب الرواقيين[٣]، وكذلك في حديثه عن السرّ والمعرفة، وقد اشتهر بها تيار الغنوصيّة[٤] أي العرفان الذي كان

---

(١) القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، ص٤٧

(٢) مدخل إلى رسائل القديس بولس، الأب فاضل سيداروس اليسوعي، ص٩، ١٠، دار المشرق، بيروت، الثانية، ٢٠٠٣م.

(٣) الرواقيّة: مدرسة فلسفيّة يونانيّة، أنشأها الفيلسوف اليوناني زينون، ومن تعاليمه: أنّ السعادة لا تنال إلا "بقمع الأهواء، ووأد الشهوات، ومحاربة اللذات، والإشادة بحياة الزهد والحرمان". فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، د. توفيق الطويل، ص١٠٦، دار النهضة العربيّة، الرابعة، ١٩٧٩م.

(٤) تعني الغنوصيّة المعرفة، فالمعرفة هنا لا تعني العلم، أي اكتساب معارف، بل بذل مجهود متواصل بقصد التطهير والتخلص من الأدران والتوصل للصيغة الغنوصية اللازمة لرحلة العودة للاندماج من جديد في العالم الإلهي الذي جاء منه

في بدايته آنذاك». [1]

وهو متأثر كذلك بالمثرائيّة[2]؛ يقول هـ . ج . ولز: «ومن الراجح جدًا أنّه متأثر بالمثرائيّة؛ إذ هو يستعمل عبارات عجيبة الشبه بالعبارات المثرائيّة». [3]

وتظهر هذه الثقافات المتنوعة في صياغته للعقيدة المسيحيّة.

الإنسان. والغنوصية ترى أن ثمة جوهراً واحداً يجمع بين كل الديانات ولذا لا تقدم نفسها كديانة جديدة، بل كباطن للشريعة القائمة، ومهمة الغنوص الكشف عن المغزى العميق للعقيدة (ولكل العقائد) التي ينتمي إليها الغنوصي بواسطة معرفة باطنية وكاملة لأمور الدين. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دكتور عبد الوهاب المسيري، ج٥، ص٣٨، دار الشروق، الأولى، ١٩٩٩م.

(١) مدخل إلى رسائل القديس بولس، الأب فاضل سيداروس اليسوعي، ص٩

(٢) المثرائيّة ديانة رومانيّة باطنيّة، استمدت أصولها من الديانة الفارسيّة، وتنسب إلى الإله ميثرا، إله الشمس، ورب الكون، وخالق الإنسان، وقاهر أهرمن بعد جلاد طويل، ولا يسبقه في الوجود شيء غير الأبد أو الزمان أبي الأرباب عندهم وأبي كلّ موجود، ويمثلون مثرا حين تجسّد على الأرض مولودًا من صخرة نائية في مكان منفرد لم يعلم بمولده أحد غير طائفة من الرعاة ألهموا معرفته فتقدموا إليه بالهدايا والقرابين، ومضى بعد مولده فستر عريه بورق من شجرة التين، وتغذى بثمرها حتى جاوز سن الرضاع. انظر: الله، الأستاذ عباس محمود العقاد، ص٩٩، المكتبة العصرية، بدون.

(٣) معالم تاريخ الإنسانيّة، هـ . ج . ولز، ج٣، ص٢٧، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصريّة العامة للكتاب.

اضطهاد بولس للمسيحيين:

بدأ اضطهاد أتباع المسيح عليه السلام بعد أن أعلن استفانوس «ببطلان الناموس وعوائد اليهود في ظلّ نعمة المسيح وعدم التقيد بالهيكل».[(١)]

فقد هاجم اليهود «لأنهّم لم يعملوا بالناموس أو يحفظوه، فهم الذين أثبتوا عدم نفعه بإهمالهم له، وهو لم يهاجم الهيكل، بل هاجم فكرة أن يكون لله بيت على الأرض أو مكان يستريح فيه. كما هاجم العوائد ضمنًا التي أهلتهم أن يقتلوا الأنبياء السابقين».[(٢)]

وبهجومه هذا عليهم قد أهاجهم؛ جاء في سفر أعمال الرسل: «وَهَيَّجُوا الشَّعْبَ وَالشُّيُوخَ وَالْكَتَبَةَ، فَقَامُوا وَخَطَفُوهُ وَأَتَوْا بِهِ إِلَى الْمَجْمَعِ، وَأَقَامُوا شُهُودًا كَذَبَةً يَقُولُونَ: هذَا الرَّجُلُ لاَ يَفْتُرُ عَنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ كَلاَمًا تَجْدِيفًا ضِدَّ هذَا الْمَوْضِعِ الْمُقَدَّسِ وَالنَّامُوسِ».[(٣)]

فقتلوه رجمًا كما مرّ، وعند رجم استفانوس تظهر أوّل صورة لشاول أو بولس على المسرح المسيحي؛ يقول بولس عن نفسه: «كُنْتُ أَحْبِسُ وَأَضْرِبُ فِي كُلِّ مَجْمَعٍ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِكَ. وَحِينَ سُفِكَ دَمُ اسْتِفَانُوسَ شَهِيدِكَ كُنْتُ أَنَا وَاقِفًا وَرَاضِيًا بِقَتْلِهِ، وَحَافِظًا ثِيَابَ الَّذِينَ قَتَلُوهُ».[(٤)]

---

(١) القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، ص٦٣

(٢) نفس المصدر السابق، ص٦٤

(٣) أعمال الرسل، الأصحاح السادس، فقرة: ١٢، ١٣

(٤) أعمال الرسل، الأصحاح الثاني والعشرون، فقرة: ١٩ – ٢١

وفي خضمّ الاضطهاد لم يستطع المؤمنون بدعوة المسيح المكوث في أورشليم غير نفر قليل منهم «فمعظم المؤمنين بعد موت الشهيد استفانوس خرجوا من أورشليم وانتشروا في البلاد المحيطة حتى لبنان وقبرص».[١]

مطاردة بولس لأتباع المسيح وقصة دخوله في المسيحيّة:

خرج بولس يطارد من خرج من أورشليم ينحو دمشق، وكان كما يقول الأب متى المسكين: «محملاً بخطابات توصية لذوي الحيثيّة ... لكي يمنح شاول سلطات فائقة يستطيع بها أن يصنع بالمسيحيين كلّ ما اشتهت نفسه، والقصد أن يطفئ النيران المشتعلة في قلوب أتباع يسوع ... ولا نعرف هل كان في رحلته هذا كان راكبًا أم مترجلاً، ولكنّ الذي نعرفه أنّه كان يرافقه نفر من القوم».[٢]

ففي الأصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل: «فَتَقَدَّمَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ، إِلَى الْجَمَاعَاتِ، حَتَّى إِذَا وَجَدَ أُنَاسًا مِنَ الطَّرِيقِ، رِجَالاً أَوْ نِسَاءً، يَسُوقُهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ».[٣]

وهنا مغالطات تاريخيّة ينبغي التنبه إليها:

أولها: أنّ سلطات رئيس الكهنة لا تتجاوز حدود معبد القدس، ولا يحق له أن يأمر المجامع اليهوديّة داخل وخارج القدس بمثل هذه المهام

---

(١) القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، ص٦٩

(٢) نفس المصدر السابق، ص٦٩، ٧٠ باختصار.

(٣) أعمال الرسل، الأصحاح التاسع، فقرة: ١، ٢

الموكلة إلى بولس، وكان «بإمكانه أن يطلب من شرطته توقيف أعضاء حركة القدس وزجهم في السجون، وذلك في حدود يهودا فقط ... وكان الكاهن الأكبر يوقفهم، لا لأنّه ينكر لاهوتهم، وإنّما لأنهّم كانوا يشكلون في اعتقاده، خطرًا على روما»[1]، فيحقق معهم الرومان على نحو ما مرّ في محاكمة المسيح كما جاءت في كتبهم.

فلا يحق لرئيس الكهنة إذن أن يوقف من يوقفه لسبب ديني، وإنّما لأسباب سياسيّة تُشكل تهديدًا للرومان، هذا كله داخل القدس وليس خارجها أمّا خارجها فلا يحق له.

ثانيها: أنّ دمشق التي يذهب إليها بولس لأداء مهمته لم تكن تحت ولاية الرومان آنئذ؛ «فالإمبراطور الروماني كاليجولا تخلى عنها في عام ٣٧ للميلاد. ومن المعروف أنّ دمشق تاريخيًّا كانت في تلك الفترة جزءًا من مملكة الأنباط العربيّة التي كانت للملك الحارث. ولم يكن هذا الملك يساوم على سلطته إبدًا، ولم يكن ليسمح لموفد مثل شاوول أن يدخل أراضيه بسهولة، ويطارد رعاياه، أو يطارد جاليات تعيش في ظلّ حمايته، لا سيما وأنّ هذا الموفد قادم من يهودا التي يحتلها أعداؤه الرومان».[2]

---

(١) بولس وتحريف المسيحيّة، هيم ماكبي، ص٣٦، ترجمة: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانيّة.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٣٧

هذا بالنسبة للمهمة الموكلة إلى بولس، أمّا بالنسبة للحادث الذي حدث له في طريق دمشق، فيقول بولس: «وَإِذْ أَفْرَطَ حَنَقِي عَلَيْهِمْ كُنْتُ أَطْرُدُهُمْ إِلَى الْمُدُنِ الَّتِي فِي الْخَارِجِ. وَلَمَّا كُنْتُ ذَاهِبًا فِي ذلِكَ إِلَى دِمَشْقَ، بِسُلْطَانٍ وَوَصِيَّةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ، رَأَيْتُ فِي نِصْفِ النَّهَارِ فِي الطَّرِيقِ، أَيُّهَا الْمَلِكُ، نُورًا مِنَ السَّمَاءِ أَفْضَلَ مِنْ لَمَعَانِ الشَّمْسِ، **قَدْ أَبْرَقَ حَوْلِي وَحَوْلَ الذَّاهِبِينَ مَعِي. فَلَمَّا سَقَطْنَا جَمِيعُنَا عَلَى الأَرْضِ، سَمِعْتُ صَوْتًا يُكَلِّمُنِي** وَيَقُولُ بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ: شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ **صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ** فَقُلْتُ أَنَا: مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ فَقَالَ: أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. وَلكِنْ **قُمْ وَقِفْ عَلَى رِجْلَيْكَ** لأَنِّي لِهذَا ظَهَرْتُ لَكَ، لأَنْتَخِبَكَ خَادِمًا وَشَاهِدًا بِمَا رَأَيْتَ وَبِمَا سَأَظْهَرُ لَكَ بِهِ، مُنْقِذًا إِيَّاكَ مِنَ الشَّعْبِ وَمِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا الآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ».(١)

وقد ذكرت هذه القصة ثلاث مرات في سفر أعمال الرسل؛ **الأولى**: جاء على لسان لوقا وهو تلميذ بولس، وبولس مصدرها، وفيها: «وَأَمَّا الرِّجَالُ الْمُسَافِرُونَ مَعَهُ فَوَقَفُوا صَامِتِينَ، **يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلاَ يَنْظُرُونَ أَحَدًا**».(٢)

---

(١) أعمال الرسل، الأصحاح السادس والعشرون، فقرة: ١١ – ١٨

(٢) أعمال الرسل، الأصحاح التاسع، فقرة: ٧

والروايـة الثانيـة: جاءت على لسان بولس في الأصحاح الثاني والعشرين وفيها: «**وَالَّذِينَ كَانُوا مَعِي نَظَرُوا النُّورَ وَارْتَعَبُوا، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الَّذِي كَلَّمَنِي**».(١)

ولا شك أنّ هاتين الروايتين متناقضتان، فالأولى: تثبت السماع والنظر لمن كانوا حول بولس، والثانية تنفي السماع والنظر، فإمّا أن ينظروا أو لا ينظروا، وإمّا أن يسمعوا أو لا يسمعوا، ولا جائز أن يسمعوا ولا يسمعوا في آن واحد، ولا أن ينظروا ولا ينظروا في آن واحد.

والثالثة: التي جاء في الأصحاح السادس والعشرين وفيها: «**قَدْ أَبْرَقَ حَوْلِي وَحَوْلَ الذَّاهِبِينَ مَعِي. فَلَمَّا سَقَطْنَا جَمِيعُنَا عَلَى الأَرْضِ**».(٢)

وهي تتعارض مع رواية لوقا السابقة وفيها: «وَفِي ذَهَابِهِ حَدَثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَغْتَةً أَبْرَقَ **حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ**».(٣)

فبينما تثبت الأولى أنّ النور كان حول المرافقين له تغفله الثانية، وبينما تثبت الأولى سقوط من حوله تغفله الثانية!

ولا شك أنّ حادثًا كهذا توافرت فيه شروط التواتر، فلم يكن بولس وحده، فإن سقطوا ورأوا النور كان لا بدّ من ذكر هذه الحادثة المدهشة وانتشارها وحديث الناس عنها، ولكنّه لم يحدث، وجاءت كلها من رواية بولس وتلميذه الذي لم يشاهدها فنقلها عنه.

---

(١) أعمال الرسل، الإصحاح الثاني والعشرون، فقرة: ٩

(٢) أعمال الرسل، الإصحاح السادس والعشرون، فقرة: ١٣، ١٤

(٣) أعمال الرسل، الإصحاح التاسع، فقرة: ٣، ٤

على أنّ الأب متى المسكين يحاول أن يكسر هذا التناقض بقوله: «معروف أنّه في انكشاف الحقائق السماويّة، لا يمكن أن يرى كلّ واحد ما يراه الآخر أو يسمع ما يسمعه الآخر، لأنّ الاستعلان بالرؤية يعتمد أساسًا على مقدار وعمق وعي الإنسان الروحي، حيث لا يتساوى اثنان في المدارك الروحيّة، ولا يتفق اثنان على معنى واحد، لذلك نجد في وصف هذا الاختبار تعدد الشهادات من حيث الرؤيا والسمع والإدراك (أع ٩: ٧؛ ٢٢: ٩)».[1]

وهو تعليق غريب منه؛ إذ أنّ انكشاف الحقائق السماويّة في التجارب الروحيّة شيء آخر غير المعجزات الحسيّة التي تُرى بالعين، وتُسمع بالأذن، والروايات الثلاث تتحدث عن رؤية بصريّة، وليست رؤيا مناميّة أو تجربة صوفيّة، ولكنّه خلط متعمد كي يداري على التناقض الواضح في الروايات. فالسؤال أي الروايات أولى بالقبول؟ والجواب المقنع الوحيد اختيار رواية واحدة وترجيحها على الأخرى.

وحتى لا يظن البعض أنّ الأب متى المسكين يتحدث عن انفعال نفسي لبولس عارض الكُتاب الغربيين بقوله: «هنا نود أن نلفت نظر القارئ إلى أنّ كافة الشراح في الغرب ظنوا أنّ صوت الرب الذي كان يسمعه بولس في داخله وحسب، ومنهم من كان يعتقد أنّه انفعال نفساني أو ربما

(١) القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، هامش، ص٧٢

مرض عصبي - كذا - ولكنّ هذه المتاهات توضح عدم المعرفة بدرجات الاستعلان وأصوله واستعداداته».[1]

والحق أنّ كلام الغربيين أولى من كلام متى المسكين لأنّه جاء في رواية بولس نفسه الذي ذكر فيها الرؤية وقد ذكرناها سابقًا عبارة «صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ»، وهذه العبارة يفسرها متى المسكين نفسه بقوله: «كان قول الرب هذا إشارة واضحة إلى أنّ الرب قبل أن يداهمه على طريق دمشق ليضع ختامًا لمأساة الكنيسة والمؤمنين، كان قد داهمه كثيرًا في الضمير عندما كان يمعن في تعذيب الأبرياء، وإيذاء نفوسهم رجالاً ونساء ضعيفات، ولكنّ بولس كان يتجاوز النخسة تلو النخسة بعناد جاهل».[2]

هذه العداوة كما يقول متى المسكين: «كان يقابلها منهم (المؤمنين) صفح ودعاء ومحبة خالصة من قلب طاهر بشدة، فكانت هذه كلها تزعج روح بولس وتثير فيه الشكوك، فكانت أقوى المناخس المُسنّنة. وهل يمكن أن تكون هذه النفوس القديسة الوديعة تلاميذ إنسان مضل؟ وحينما كان يخلو إلى فراشه كانت اعترافاتهم عن محبة المسيح ولطفه كسهام ناريّة مصوبة نحوه تعذب ضميره».[3]

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٧٣

(٢) نفس المصدر السابق، ص٧٩

(٣) القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، ص٧٩، ٨٠

فتأنيب الضمير إذن هو أساس هذا التحول، إذن هو نفسي، ولا شيء سواه كما يفيد ظاهر الرواية.

إلا أنّ سياق القصة كما ذكرها بولس يأبى أن يكون تحولاً نفسيًّا باعثه تأنيب الضمير، وإنّما هي المهمّة السريّة التي أوكل بها بولس للإتيان بالمؤمنين بالمسيح؛ «فقد أوفد شاوول وهو المساعد العسكري للكاهن الأكبر في مهمة لخطف بعض المسيحيين المتمردين على سلطة الكاهن الأكبر، وكانت معه عصابة من القتلة المأجورين».[١]

ويشهد لهذا ما جاء في رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس: «فِي دِمَشْقَ، وَالِي الْحَارِثِ الْمَلِكِ كَانَ يَحْرُسُ مدِينَةَ الدِّمَشْقِيِّينَ، يُرِيدُ أَنْ يُمْسِكَنِي، فَتَدَلَّيْتُ مِنْ طَاقَةٍ فِي زَنْبِيل مِنَ السُّورِ، وَنَجَوْتُ مِنْ يَدَيْهِ».[٢]

ومنطقي أنّه بعد اكتشاف والي الملك لمهمة بولس أن يطارده بتهمة انتهاك السيادة، «ولم يكن رئيس الشرطة ليُصدق أنّ بولس قد أقلع عن المهمة التي يقوم بها لحساب كبير الكهنة، وأنّه صار من أتباع عيسى (عليه السلام). كان رئيس الشرطة يظن أنّ هذا الإيمان المفاجئ تغطية للمهمة السريّة. ولهذا بادر إلى ملاحقته عندما علم بوجوده، واضطرّ بولس إلى مغادرة دمشق بسرعة فارًا من مخالب الشرطة النبطيّة».[٣]

(١) بولس وتحريف المسيحيّة، هيم ماكبي، ص٣٧

(٢) رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس، الأصحاح الحادي عشر، فقرة٣٢، ٣٣

(٣) بولس وتحريف المسيحيّة، هيم ماكبي، ص٣٩

ومن غير المنطقي أن ينسب سفر أعمال الرسل أنّ الذين كادوا لبولس وأرادوا قتله هم اليهود «وَلمَّا تمَّتْ أَيَّامٌ كَثِيرَةٌ تَشَاوَرَ الْيَهُودُ لِيَقْتُلُوهُ، فَعَلِمَ شَاوُلُ بِمَكِيدَتِهِمْ. وَكَانُوا يُرَاقِبُونَ الأَبْوَابَ أَيْضًا نَهَارًا وَلَيْلاً لِيَقْتُلُوهُ. فَأَخَذَهُ التَّلاَمِيذُ لَيْلاً وَأَنْزَلُوهُ مِنَ السُّورِ مُدَلِّينَ إِيَّاهُ فِي سَلّ».[١]

وذلك لأنّه لا يوجد داعي لمعارضة ومقاومة بولس من قبل اليهود الموجودين في دمشق؛ فإن «كان يقول أنّ عيسى هو المسيح المنتظر فإنّ كثيرًا من يهود دمشق كانوا يؤمنون بذلك. ولم يكن بولس في تلك الفترة قد أعلن عن أفكاره الجديدة الكافرة ولم يقل بألوهيّة عيسى ونسخ التوراة.[٢] ومن هنا فإنّ يهود دمشق إذا عرفوا بولس، لن يروا فيه أكثر من مؤمن آخر من المؤمنين بعيسى (عليه السلام). وكان يهود دمشق يرحبون بهؤلاء لأنهّم ينشطون ضدّ الاحتلال الروماني للقدس، ومن المؤكد أنهّم لم يشاطروا الكاهن الأكبر في تواطئه مع الرومان، وهم الذين لجأوا إلى دمشق أصلاً لأنهّا تخلصت من سلطة الرومان».[٣]

وقد حاول الأب متى المسكين الجمع بين هاتين الروايتين المتناقضتين فجعل حادث القبض على بولس بعد رجوعه من العربيّة التي

---

(١) أعمال الرسل، الأصحاح التاسع، فقرة: ٢٣ - ٢٥

(٢) انظر: حياة بولس، ف ب ماير، ص٥٩، تعريب القمص مرقص داود، مكتبة المحبة.

(٣) بولس وتحريف المسيحيّة، هيم ماكبي، ص٤٠

مكث فيها ثلاث سنين[١]، حتى يوجد عداء بين والي دمشق وبولس، ويوجد عداء آخر بين بولس واليهود، فبولس الذي قطن ثلاث سنين في العربيّة يدعو فيها إلى دعوته الجديدة التي سفه فيها دين اليهود، وبهذا يبرر تعاون والي دمشق مع اليهود.[٢]

فيما يناقضه هنا الأنبا غريغوريوس الذي يرى أنّ بولس فور دخوله دمشق «أخذ من ساعته يكرز وينادي في المجامع بأنّ يسوع هو ابن الله»[٣]، وهو ما جاء في سفر أعمال الرسل.[٤]

وكلام متى المسكين وغريغوريوس كلاهما لا دليل عليه؛ أمّا متى المسكين فقد بناه على الظن فإنّ بترا التي يرى أنّها هي العربيّة كانت مركز أسقفيّة في أوائل القرن الثالث، وعبارته: «لأننا نسمع عن بترا أنّها كانت مركز أسقفيّة في أوائل القرن الثالث»[٥]، وقد دعا فيها بولس بدعوته «فليس من المعقول أنّه لم يكرز هناك بالمسيح وسط العرب القاطنين في هذه الأماكن».[٦]

---

(١) انظر: القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، ص٧٦

(٢) انظر: نفس المصدر السابق، ص٧٦، ٧٧

(٣) موسوعة الأنبا غريغوريوس، الأنبا غريغوريوس، ج٦، ص٥٧

(٤) انظر: أعمال الرسل، الأصحاح التاسع، فقرة: ٢٠ – ٢٥

(٥) انظر: القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، ص٧٦

(٦) انظر: نفس المصدر السابق، ص٧٦

فهو كلام مبني على الظن، فمتى المسكين نفسه قال قبل هذا الكلام بسطور معدودة: «يقول القديس بولس إنّه انطلق إلى العربيّة مملكة النباطيين لكي يتوارى قليلاً عن أعين المتربصين به.[١] ولكنّ ذهابه إلى العربيّة كان أساسًا لإعادة بناء إيمانه».[٢]

فهل من يُعيد إيمانه أي يراجعه وينقحه ويفرز الصحيح من السقيم كان داعية بما لم يراجعه وينقحه؟ إنّ من كان في مرحلة إعادة بناء الإيمان لا يدعو إلى شيء لم يبن أصلاً، ولا يدعو إلى شيء لم يكتمل بناؤه.

والعجيب أنّ متى المسكين يذكر بعد ذلك أنّ هروب بولس من دمشق في سلّ فور حادث ظهور المسيح له.[٣]

وليس بأفضل منه كلام غريغوريوس؛ فبولس لم يحك هذا ولم يقله، ولم يقله لوقا. فمن أين جاء به. ثمّ إنّه يقول عن إقامته في العربيّة مدة ثلاث سنين كان «يتأمل ويقرأ ويدرس».[٤]

فهل دعا إلى شيء لم يدرسه؟!!!

فالقصة في النهاية أنّه كان لبولس طموح كبير، ولم يفلح أن يكون حاخامًا كبيرًا «فانقطع عن الدرس، وقبل بأوّل عمل عُرض عليه، فصار

---

(١) يظهر من كلام متى المسكين أنّه لا يوافق على أنّ هناك من يتربص ببولس في هذه المرحلة فليس هناك ما يبرر العداء.

(٢) انظر: القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، ص٧٦

(٣) انظر: نفس المصدر السابق، ص٨٠ في الرسم التوضيحي لرحلات بولس.

(٤) موسوعة الأنبا غريغوريوس، الأنبا غريغوريوس، ج٦، ص٥٨

شرطيًّا بين يدي الكاهن الأكبر لمعبد القدس[١]، وقد يكون من ضمن مهمته أن يفسد المسيحيّة الناشئة في ظلّ الاضطهاد، يقول ابن حزم: «وَفِيمَا سمعنَا علماءهم (اليهود) يذكرُونَهُ وَلَا يتناكرونه، أَنّ أَحْبَارهم الَّذين أخذُوا عَنْهُم دينهم والتوراة وَكتب الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِم السَّلَام، اتَّفقُوا على أَن رشوا بولس البنياميني لَعنه الله، وأمروه بِإِظْهَار دين عِيسَى عليه السلام، وَأَن يضل أتباعهم ويدخلهم إِلَى القَوْل بإلهيته وَقَالُوا لَهُ نَحن نتحمل إثمك فِي هَذَا فَفعل».[٢]

بولس بعد خروجه من دمشق:

يذكر بولس أنّه بعد خروجه فارًا من والي دمشق ذهب إلى العربيّة ومكث بها ثلاث سنين، والسؤال: أين ذهب بولس، ومع من مكث؟

في رسالة بولس لأهل غلاَطِيَّة يقول بولس: «لمَّا سَرَّ اللهَ الَّذِي أَفْرَزَنِي مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَدَعَانِي بِنِعْمَتِهِ أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، لِلْوَقْتِ لَمْ أَسْتَشِرْ لحْمًا وَدَمًا وَلاَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ قَبْلِي، بَلِ انْطَلَقْتُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ رَجَعْتُ أَيْضًا إِلَى دِمَشْقَ».[٣]

---

(١) بولس وتحريف المسيحيّة، هيم ماكبي، ص٤٤

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)،ج١، ص ١٦٤، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٣) رسالة بولس إلى أهل غلاطية، الأصحاح الأوّل، فقرة: ١٥ – ١٧

وهناك أمضى بولس ثلاث سنين من سنة ٣٥ – ٣٧م[١]، ولكن أين ذهب في بلاد العرب؟ لم يذكر بولس، ولم يعرف عنه أحد شيئًا، ومن هنا نجد الخلاف قائمًا؛ يقول متى المسكين: «والعربيّة هي المنطقة المتاخمة للبحر الميت من شرق حيث قبر موسى، وتنتهي عند خليج العقبة، ومن مدنها الهامة بوسترا، وعاصمة تلك البلاد هي بِترا[٢]، وهي غالبًا البلدة التي استقرّ فيها».[٣]

على حين أنّ الدكتور ف ب ماير يقول: «والأرجح أنّ المقصود بالعربيّة شبه جزيرة سيناء بسكانها القلائل جدًا، ومناظرها الطبيعيّة الجميلة».[٤]

فهل ذهب إلى بِتراء أو سيناء؟

لا يعرف على وجه اليقين أين ذهب بولس، ومع من التقى، وماذا كان يفعل؛ لكنّ هناك شبه إجماع في المسيحيّة الحاضرة أنّ الرجل كان يتأمل ويقرأ ويدرس، بل يقول الدكتور ف ب ماير: «أراد (بولس) أن يكون في

---

(١) موسوعة الأنبا غريغوريوس، الأنبا غريغوريوس، ج٦، ص٥٨

(٢) تقع مدينة البتراء اليوم في المملكة الأردنيّة.

(٣) القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، ص٧٦

(٤) حياة بولس، د. ف ب ماير، ص٥٩، تعريب: القمص مرقص داود، مكتبة المحبة.

عزلة ليتأمّل في كلّ ما رأى، ليوفق بين القديم والجديد إن أمكن، بين الحاضر والماضي».[١]

ويقول: «أهم عمل له في تلك السنوات، كان مراجعة كلّ حقائق العهد القديم من وجهة النظر الجديدة إزاء آلام وموت المسيا».[٢]

ويقول: «كان يختزن الكثير من الحجج لاستخدامها في مجامع كثيرة مدة العشرين سنة التالية؛ ليستطيع تقديم البرهان».[٣]

وهذا كلام خطير[٤] فمعناه أنّ الرجل انطلق من ذاته يوفق بين اليهوديّة والمسيحيّة، وغير نابع عن وحي أو اتصال بالروح القدس كما يزعمون.

وفي النهاية يخرج بولس بصيغة للمسيحيّة وعقيدة وإنجيل لم يتعلمه من أحد؛ يقول بولس: «وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ. لأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلاَ عُلِّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ».[٥]

---

(١) حياة بولس، د. ف ب ماير، ص٥٩

(٢) حياة بولس، د. ف ب ماير، ص٦٠

(٣) حياة بولس، د. ف ب ماير، ص٦٠

(٤) قال القس مرقس داود في تقديمه لهذا الكتاب: "أعدتُ قراءته مع تنقيحه، راجيًا للمكتبة كلّ توفيق في قيامها بنشر هذه الكتب الدينيّة" ص٦، مما يقتضي موافقته على أنّ بولس كان يعمل من ذاته، ويوفق ويلفق من تلقاء نفسه.

(٥) رسالة بولس إلى أهل غلاطية، الأصحاح الأوّل، فقرة: ١١، ١٢

وجدير بالذكر أنّ بولس في مدة الثلاث سنين لم يلتق بأحد من تلاميذ المسيح، ولم يتعلم منهم تعاليم المسيح، إنّما كانت له صيغته وكان له إنجيله وعقائده وتعاليمه الخاصة؛ يقول متى المسكين: «ويلاحظ من قول بولس الرسول فيما يختص ببشارته الخاصة بالمسيح، والتي يعبر عنها بـ "إنجيلي" باعتبار أنّ هذه التسمية تقوم على أساس أنّه يبشر بالمسيح خلوًا من الناموس وأعماله، والسبت وإلزاماته، والختان وحتميته، الأمور التي كان يعيش فيها بقيّة الرسل والتلاميذ جميعًا».[١]

إذن تحرر بولس وغيّر وبدّل وخالف التلاميذ، بل كما يقول متى المسكين: إنّ «مسيحيّة القديس بولس لم تقم على العقائديّة، وإلا ما كانت انتشرت بين الأمم».[٢]

إذن هي تلفيقيّة تناسب الأمم وتخالف تعاليم المسيح التي علمها للتلاميذ، «فقد جاء في كتاب مروج الأخبار في تراجم الأبرار[٣] أنّ مرقس كان ينكر ألوهيّة المسيح هو وأستاذه بطرس الحواري، وقد جاء في ذلك الكتاب عن مرقس: "صنف إنجيله بطلب من أهالي رومية، وكان ينكر ألوهيّة المسيح"».[٤]

---

(١) القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، ص٨٤

(٢) نفس المصدر السابق، ص٩٥

(٣) مؤلفه هو بطرس قرماج.

(٤) نقلاً عن: محاضرات في النصرانية، الإمام محمد أبو زهرة، ص٤٦

ومادام بطرس - وبطرس هو كبير تلاميذ المسيح - كان من الموحدين، فالتثليث الذي جاء به بولس طارئ على المسيحيّة.

والخلاصة، أنّ بولس استغلّ الاضطهاد وعدم استقرار المجتمع المسيحي في إظهار أفكاره، واعتمد كذلك على ثقافته اليونانيّة في التلفيق بين الوثنيّة والمسيحيّة، ثمّ إنّه استغل عدم مقدرة تلاميذ المسيح عليه السلام على دفع أفكاره، فخالفهم وظهرت أفكاره على ما كان سائدًا ومستقرًا من عقائد السيد المسيح عليه السلام.

فهو الذي غيّر وبدّل العقائد والشرائع، ومن ثمّ فإنّ المسيحيّة الحاضرة تنسب إليه دون غيره.

المطلب الثالث: الاضطهاد الروماني للمسيحيين

لم يمض ثمانون عامًا بعد رفع المسيح عليه السلام حتى كان تلاميذه قد حكم عليهم بالموت.[1]

واستمرّ الاضطهاد والتعذيب «طيلة ثلاثة قرون كاملة تتلظى بنيران عداوات الأديان الأخرى، وسياط الاضطهاد حتى تتخطى العقبات التي صادفتها، وعلى طريق طويل بلغ مداه ثلاثمائة عام سار المسيح وحواريوه وأتباعه رحلة طويلة مليئة بالآلام والتعذيب».[2]

ومع هذا ظلّت المسيحيّة تنتشر حتى تحت نير الاضطهاد، وأصبح للمسيحيين كيان مستقلّ عن اليهود، بعد أن كانوا جزءًا منهم. وهنا يطرح سؤال نفسه لماذا عادى الرومان المسيحيين؟

يرجع ذلك إلى عدّه أسباب:

١ - لم يعبد المسيحيون الإمبراطور، وعبادة الإمبراطور كانت جزءًا من كيان الدولة الرومانيّة، «وكانت المشكلة الجوهريّة التي أقلقت بال الأباطرة، وزادت من حدّة النزاع بينهم وبين المسيحيين هي رفض هؤلاء بقيّة الرومان عبادة الإمبراطور وتأليهه».[3]

---

(١) انظر: تاريخ المسيحيّة، فجر المسيحيّة، حبيب سعيد، ص٥٠، دار التأليف والنشر الكنيسة الأسقفيّة.

(٢) الدولة والكنيسة، د. رأفت عبد الحميد، ج١، ص٢٣، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) نفس المصدر السابق، ج١، ص٣٠

فالإمبراطور لن يوافق إلا بتقديسه، وتقديم الذبائح باسمه، والمسيحيون كانوا يرون أنّ «اعترافهم بألوهيّة الحاكم سوف يخرجون عن هذه العقيدة التوحيديّة إلى صفوف الوثنيين، وكانت الكنيسة ترى في عبادة الإمبراطور ضربًا من الشرك».[1]

٢- شعور الرومان بالتهديد من قبل التعاليم المسيحيّة؛ «فالطبقة المترفة كان تعتقد أنّ المسيحيّة تهدد كيانها بما تحمله من تعاليم تدعو إلى المساواة والأخذ بيد الفقراء، والتصدق بالأموال وعدم اكتنازها، واحتقار الحياة الدنيا وملذاتها، وهي مظاهر لم يألفها الرومان في تلك الأعصر. ومن ثمّ اتهمت هذه الطبقة المسيحيّة بأنّها تعمل على تبديد الثروات التي جمعوها بطرق مشروعة أو غيرها».[2]

٣- شعور الطبقة الحاكمة والمستفيدة من النظام القائم في الدولة الرومانيّة على نظام الدولة فقد «كانوا يرون أنّ ديانتهم الوثنيّة جزء من كيان الحكومة ونظامها، واعتادوا أن يربطوا بين أربابهم وبين مجد الدولة وعظمتها، فقد كان من الصعب عليهم هجران ديانتهم وعقائدهم بعدما رأوا أنّ المسيحي ينظر إلى دينه على أنّه شيء منفصل عن المجتمع السياسي، وأنّه أسمى من هذا المجتمع مقامًا، ولا يدين بولاء للقيصر ولكن بأعظمه للمسيح».[3]

---

(١) نفس المصدر السابق، ج١، ص٣٣

(٢) نفس المصدر السابق، ج١، ص٢٧

(٣) نفس المصدر السابق، ج١، ص٢٧، ٢٨

٤- رأى الرومان أنّ المسيحيّة تعمل على انشقاق المجتمع الروماني فقد «حرّم على المسيحي أن يتزوج بغير مسيحيّة، وعلى المسيحيّة أن تقترن بغير مسيحي، فاتهم الدين المسيحي بأنّه يعمل على تشتيت الأسر وخراب البيوت، ومما أكد هذا الاتهام أيضًا أنّ حماس المسيحيين في تلك الآونة كان يدفع الواحد فيهم، تبعًا للتعاليم المسيحيّة إلى أن يهجر عائلته وأرضه في سبيل إيمانه».(١)

٥- في ظلّ الاضطهاد راح المسيحيون يعقدون الاجتماعات السريّة فخشيت الدولة الرومانيّة من أن تكون هذه الاجتماعات من أجل الوصول للسلطة؛ يقول د. رأفت عبد الحميد: «راح المسيحيون يلتقون خفية، ويعقدون اجتماعاتهم في سريّة مما زاد الطين بلّة، وأوقع بهم تحت دعوى الاتهام، بأنّهم جماعة سياسيّة خطيرة يخشى بأسها على سلامة الدولة».(٢)

وفي نهاية الأمر لم يكن الرومان يقبلون «بقيام كيان آخر مستقل عن سلطة القيصر، أو بتعبير أكثر وضوحًا، دولة داخل دولة».(٣)

---

(١) نفس المصدر السابق، ج١، ص٢٩

(٢) نفس المصدر السابق، ج١، ص٣٣

(٣) الاضطهاد الروماني للمسيحيين بين الاعتقاد الكنسي والفكر السياسي، د. رأفت عبد الحميد، ص٢٣، منشور في مجلة الآداب، جامعة الإمارات، العدد الثالث ١٩٨٧م.

فالمسيحيون في نظر الرومان لم يكونوا إلا منشقين مبتدعين متآمرين يدعون إلى دين يهدد كيانهم.

الاضطهادات العشر:

تعرّض المسيحيون لاضطهادات عشر من قبل أباطرة الرومان، وهي على هذا الترتيب: الاضطهاد الأوّل في عهد نيرون، والثاني في عهد دومتيانوس، والثالث في عهد تراجان، والرابع في عهد مرقس أوريليوس، والخامس في عهد سبتيموس ساويرس، والسادس في عهد مكسيمينوس، والسابع في عهد ديسيوس، والثامن في عهد فالريان، والتاسع في عهد أوريليان، والعاشر في عهد دقلديانوس.

أمّا عن الاضطهاد في عصر نيرون فبعد حريق روما سنة ٦٤م ونتائجه المروعة على الاقتصاد والعمران في روما «بحث الرأي العام في روما عن كبش فداء، واستغلّ مستشارو الإمبراطور ذلك باتهام المسيحيين بإشعال هذا الحريق عمدًا؛ لأنّهم كانوا يعلمون مدى كراهيّة الشعب الروماني لهم ... وقدم المئات من المسيحيين الرومان بتهمة الإتيان بأفعال فوضويّة، وأنزل بهم عقوبات بربريّة».[1]

وهذا هو أوّل اضطهاد حدث للمسيحيين بناء على قرار رسمي، وقد بلغت وحشيّة التعذيب مبلغًا عظيمًا؛ فقد خيطوا المسيحيين في جلود الوحوش البريّة وتركوا فريسة للكلاب لتنهش لحومهم، والبعض كانوا يلقون في ملابس ملطخة بمواد قابلة للاشتعال كالشمع والزفت،

(١) تاريخ الإمبراطوريّة الرومانيّة، د. سيد أحمد علي الناصري، ص١٦٥ باختصار.

ووضعت لهم مناخس تحت ذقونهم لبقاء قامتهم منتصبة، حتى إذا أقبل الظلام أضرمت فيهم النيران ليقوموا مقام المصابيح لإنارة المتنزهات العامة التي يؤمها الشعب، حيث اللهو والطرب. وقد تنازل نيرون عن حدائقه لهذه الغاية لتسلية الشعب، وكان هو بنفسه يشاركهم في هذه الألعاب، فكنت تراه تارة يسير على قدميه مترجلاً حتى يدخل وسط المتجمهرين، وأخرى يمتع نظره برؤية تلك المناظر وهو متكئ في عربته.(١)

وفي عهده كما يقول يوسابيوس القيصري قطعت رأس بولس، وصلب بطرس.(٢)

وأمّا الاضطهاد الثاني فكان في عهد دومتيانوس الذي ارتقى المملكة سنة ٨١م، فقد أثارَ اضطهادًا ضدّ المسيحيين؛ لأنّه تصوّر أنّ الإنسان الذي ولد في اليهوديّة من نسل داود سيملك - كما صوّرت له مخاوفه وأوهامه - على ممالك العالم وأصحاب الحسب والنسب من الرومانيين الذين اعتنقوا المسيحيّة لم ينج واحد منهم من صواعق سخطه ومظالم حكمه، فبعضهم قتل، والبعض الآخر نفى لينفذ فيه حكم الإعدام في منفاه.(٣)

---

(١) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ص٩٨، مكتبة الإخوة - شبرا مصر، الرابعة ٢٠٠٣م.

(٢) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ص١٠٨

(٣) مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ص١٠٠

قال يوسابيوس القيصري: «قتل ظلمًا عددًا ليس بالقليل من السادة والأشراف في روما، ونفى كثيرين آخرين من الرجال البارزين بلا مبرر وصادر ممتلكاتهم».[1]

وأمّا الاضطهاد الثالث فكان في عهد تراجان الذي حكم من ٩٨ – ١١٧م

وقد صادق على إيقاع الأذى بالمسيحيين، ووافق على اضطهادهم، ويقول البعض: إنّه فكر في محو اسمهم من الوجود.[2]

وفي عهده قتل اغناطيوس أسقف كنيسة أنطاكية فقضى تراجان عليه بالموت وحمله إلى روما وطرحه للوحوش المفترسة للترفيه عن الشعب.[3]

قال يوسابيوس القيصري: «حلّ بنا وقتئذ اضطهاد عنيف في أماكن كثيرة، حتى إنّ بلينيوس سكندس وهو أشهر الولاة، أزعجته كثرة عدد الشهداء».[4]

وأمّا الاضطهاد الرابع فكان في عهد أوريوليوس الذي حكم من ١٦١ – ١٨٠م، واتسمت مدة حكمه بالكوارث المتنوعة وبالاضطهادات القاسية، وبلغ الاضطهاد أشده فكان نداءٌ عام "ألق المسيحيين للأسود"

---

(١) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ص١٤٠

(٢) مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ص١٠١

(٣) مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ص١٠٧

(٤) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ص١٦٦

وكان اعتناق المسيحيّة جريمة ضدّ الدولة، وهذا بلا شك غيّر كلّ شيء، فكانوا يطردون من دورهم بغلظة وقسوة، ويعرضون لأقسى الآلام والتعذيب، ولم تكن هناك آلات للتعذيب غير صور الموت الوحشيّة القاسية، كطرحهم للوحوش الضارية، وصلبهم والتنكيل بهم.(١)

وأمّا الاضطهاد الخامس فكان في عهد سبتيموس ساويرس الذي حكم من ١٩٤ – ٢١٠م، فقد وضع قانونًا يمنع بمقتضاه على أيّ واحد من رعاياه من أن يكون يهوديًا أو مسيحيًا، وإلا عوقب بعقوبات شديدة.(٢)

فكانت الأحكام تصدر بإلقائهم في النار، وللوحوش الضارية، ويُدعى الشعب ليمتعوا أنظارهم بمشاهدة مصارعة تلك الوحوش معهم وفتكها بهم.(٣)

وأمّا الاضطهاد السادس فكان في عهد مكسيمينوس الذي حكم من ١٧٣ – ٢٣٨م، وفي عهده حدثت زلازل مدمرة في جهات متعددة من الإمبراطوريّة، وكان الرومان كانوا يعتقدون أنّ ذلك بسبب غضب الآلهة عليهم لكونهم سمحوا للمسيحيين بالعيش بينهم، فكان ذلك باعثًا على إشعال نيران الاضطهاد الشديد والبغض العظيم ضدّ المسيحيين عمومًا، فأخذوا في حرق الكنائس المشيدة حديثًا واضطهاد المسيحيين.(٤)

---

(١) مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ص١١٠

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٢٨

(٣) نفس المصدر السابق، ص١٣١

(٤) نفس المصدر السابق، ص١٣١

وأمّا الاضطهاد السابع فكان في عهد ديسيوس الذي ارتقى العرش سنة ٢٤٩م، وكان يكره المسيحيين ويحب الوثنيّة ويغار عليها، فأصدر أوامره إلى الولاة بتنفيذ القوانين القديمة ضدّ المسيحيين، وأنّهم إنْ لم يستأصلوا جميع المسيحيين أو يرجعوهم بأنواع الآلام والتعذيب إلى دين آبائهم فإنّهم يعرضون أنفسهم للقتل؛ فأخذت السلطات تفتش على المسيحيين، فحكم على عدد عظيم منهم بالنفي، وبعضهم بالسجن، وبعضهم بالتعذيب بجميع أنواع الآلام والعقاب حتى الموت.(١)

وأمّا الاضطهاد الثامن فكان في عهد فاليريان الذي حكم من ٢٥٣ – ٢٦٣م، فسببه أنّه لم يكسب نصرًا واحدًا يعيد الهيبة العسكريّة المفقودة إلى روما، وتنفيسًا عن فشله وإسقاطًا عن هزيمته النفسيّة بدأ الإمبراطور يفتك بالمسيحيين فتكًا بربريًا(٢)، حتى إنّ الفارين من العذاب الشديد اتخذوا المغارات في الجبال ملجأ لهم.

وأمّا الاضطهاد التاسع فكان في عهد أوريليان الذي حكم من ٢٧٠ – ٢٧٥م، وقد أصدر أوريليان مرسومًا بقتل المسيحيين كان من أثره مذابِح مُروعة في أماكن شتى.(٣)

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١٣٢

(٢) تاريخ الإمبراطوريّة الرومانيّة، د. سيد أحمد علي الناصري، ص٣٦٧

(٣) الاستشهاد في فكر الآباء، القمص أثناسيوس فهمي جورج، ص٢٩، تقديم الأنبا بنيامين أسقف المنوفية، كنيسة الشهداء – سلسلة دراسات آبائية، بدون.

وأمّا الاضطهاد العاشر فكان في عهد دقلديانوس الذي حكم في الفترة من ٢٠ نوفمبر ٢٨٤ حتى ١ مايو ٣٠٥م، وفي عهده حدث أشدّ اضطهاد، ويرجع سببه إلى أنّ دقلديانوس قرّب منه الفلاسفة الذين كانوا مملوئين عداوة وبغضًا للمسيحيّة، فاستخدموا ما كان لهم من نفوذ عند الإمبراطور في محاولة استئصال شأفة المسيحيّة؛ لأنّها لا تتفق مع مبادئهم، وقد احتالوا عليه إلى أن وافق على الاضطهاد بشرط عدم قتل المسيحيين.(١)

فأصدر الإمبراطور مرسومه الأوّل الذي يقضي بأنّ كلّ الذين يرفضون تقديم ذبائح يفقدون وظائفهم وأملاكهم ورتبهم وامتيازاتهم المدنيّة، ويقضي أيضًا بهدم الكنائس، ومنع الاجتماعات الدينيّة، **وإبادة الكتب المقدسة**.(٢)

فأحرقت الكتب المقدسة، ولم ينفذ الشرط القاضي بعدم قتل المسيحيين، بل قتل كثيرون منهم لامتناعهم عن تسليم الكتب المقدسة لإحراقها.(٣)

وبعد إصدار المرسوم الأوّل شبت نار في قصر الإمبراطور، وامتد لهبها إلى أن وصلت إلى غرفة الإمبراطور، ولم يعرف سبب لاشتعال هذه النار، واتهم فيها المسيحيون؛ فغلى صدر الإمبراطور بالحقد والغيظ على

---

(١) مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ص١٣٧

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٣٧

(٣) انظر: تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري، ص٣٩٩، ومختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ص١٣٨

المسيحيين، فسيقوا جماعات كبيرة وزج بهم في أعماق السجون، بلا تمييز في المشتبه فيهم من غيرهم، وعاملوهم أشدّ المعاملة، وأخيرًا حكموا على كثيرين منهم بالموت حرقًا، أو قتلاً بالسيف، أو غرقًا في البحر.(١)

وبعد الحريق الأوّل بأربعة عشر يومًا شبّ حريق آخر، واتهموا المسيحيين، فكان الاضطهاد أبعد أثرًا وعمقًا؛ فأعدموا كثيرين، وأحرقوا كثيرين أحياء، ولكنّ إعدام الناس أفرادًا أصبح عملاً مملاً ومتعبًا وبطيئًا، لذلك أشعلوا نيرانًا عظيمة لإحراق كثيرين دفعة واحدة، وألقوا بآخرين في وسط البحر بعد أن ربطوا أعناقهم بحجارة.(٢)

فكان الأمر حينئذ بحو المسيحيّة محوًا كاملاً؛ فأصدر الإمبراطور مرسومه الثاني بإلقاء القبض على رجال الدين المسيحي والزج بهم في السجون، ثمّ أصدر مرسومه الثالث بحظر إخلاء سبيل أحد منهم ما لم يقدموا الذبائح، ثمّ أصدر مرسومه الرابع بأنّ من يمتنع منهم عن تقديم الذبائح يجبر على عبادة الآلهة.(٣)

ثمّ أصدر مرسومه الرابع بتعميم الاضطهاد فشمل الاضطهاد الرجال والنساء والأطفال لإكراههم على عبادة الآلهة.(٤)

---

(١) مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ص١٣٨

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٣٨

(٣) نفس المصدر السابق، ص١٣٩

(٤) نفس المصدر السابق، ص١٣٩

فأبيدت أسر عن بكرة أبيها بطرق مختلفة من العذاب، فالبعض هلكوا جوعًا، والبعض صلبوا، وآخرون ربطوا مدلين الرؤوس إلى أسفل ليموتوا موتًا بطيئًا فيطول عذابهم، فظلت هذه المناظر الوحشيّة البربريّة الخالية من أيّ مظهر من مظاهر الشفقة مستمرة بشدة في جميع أنحاء الإمبراطوريّة مدة طويلة تصل تقريبًا إلى عشرة أعوام.(١)

الآثار المترتبة على الاضطهاد

إنّ الاضطهاد والتعذيب المتكرر المتنوع لابدّ أن تكون له آثار يجوزها العقل - إن لم يكن يحتمها-، منها:

١ - ضياع الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام؛ خاصة إذا كان الاضطهاد منصبًا على حرق الكتب، وإتلافها. فقد كان نتيجة إبادة الكتب كما يقول أندرو ملر: «أنّ أقدم النسخ الخطيّة للعهد الجديد الباقية إلى الآن لا يرجع عهدها إلا إلى منتصف القرن الرابع للميلاد، وسبب ذلك إبادة الكتابات المسيحيّة خصوصًا الأسفار المقدسة في عهد دقلديانوس في النصف الأوّل من ذلك القرن، ولا يخفى أنّه قد بذلت مجهودات كثيرة في عهد قسطنطين لعمل نسخ مضبوطة، ويعتقد تنشندورف أنّ النسخة السينائيّة هي إحدى تلك النسخ».(٢)

فقد ضاعت الكتب إذن والكتب الموجودة الآن هي محاولة تجميع بعد إقرار العقيدة في مجمع نيقيّة سنة ٣٢٥م الذي عقدة قسطنطين، ولا

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١٣٩

(٢) هامش: مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ص١٣٧

يخفى أنّ مجمع نيقيّة كان فيه اختلاف عظيم على العقائد، فاختيرت العقيدة بأمر من السلطة وأمر قسطنطين بإحراق كتب المخالفين لهذه العقيدة؛ يقول ول ديورانت: «وصدر مرسوم إمبراطوري يأمر بإحراق كتب أريوس جميعها ويجعل إخفاء أي كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام».[١]

ويقول حبيب سعيد: «وبذلك فضّ المؤتمر النزاع القائم، وقرر إبعاد آريوس وأتباعه، وحرق الكتاب الذي أودعه آراءه الملحدة».[٢]

٢- وجود التناقض في الكتب؛ يقول الشيخ أبو زهرة: «الاضطهادات التي قارنت المسيحية في نشأتها وفي تكوينها وليدًا وفي تدرجها، وفي عصر تدوينها ورواية كتبها، وهي مع أسباب أخرى جعلت بعض العلماء يبحثون عن قيمة هذه الكتب، وجعلت بعض علماء المسيحيين أنفسهم يعتذرون عن بعض الاضطراب في الأناجيل بأنها دونت في عصور اضطهاد المسيحية الأولى».[٣]

---

(١) قصة الحضارة، وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى: ١٩٨١ م)، ج١١، ص٣٩٦، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

(٢) تاريخ المسيحيّة _ فجر المسيحيّة، حبيب سعيد، ص١٥١، دار التأليف والنشر للثقافة الأسقفيّة.

(٣) محاضرات في النصرانية، الإمام محمد أبو زهرة، ص٣٢

٣- إدخال ما ليس من الدين فيه عن طريق المتلاعبين، وكان لبولس الدور الأكبر في هذا على نحو ما مرّ آنفًا.

٤- ضياع سند الدين؛ يقول الشيخ رحمة الله الهندي: «طلبنا مرارًا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم، فقال: إنّ سبب فِقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلثمائة وثلاث عشرة سنة، وتفحصنا في كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئًا غير الظن والتخمين، يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن، وقد قلت: إنّ الظن في هذا الباب لا يغني شيئاً، فما دام لم يأتوا بدليل شاف وسند متصل فمجرد المنع يكفينا، وإيراد الدليل في ذمتهم لا في ذمتنا».[1]

ومن ثمّ يتوجه البحث إلى دراسة الأناجيل الأربعة سندًا ومتنًا في ضوء دراسة الأب متى المسكين.

---

(١) إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى: ١٣٠٨هـ)، ج١، ص١١١، تحقيق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، الأولى، ١٩٨٩م.

المبحث الثاني: متى المسكين والأناجيل الأربعة

المطلب الأوّل: فكرة الإلهام بين متى المسكين وآباء الكنيسة الأرثوذكسيّة المعاصرين

يقرر آباء الكنيسة الأرثوذكسيّة المعاصرين أنّ الأناجيل الأربعة كتبت بإلهام من الروح القدس؛ فإننا إذا قلنا: «إنّ القديس متى هو كاتب الإنجيل الأوّل من الأناجيل الأربعة، فلا نعني بذلك أنّ الإنجيل من تأليفه، كما يفعل أيّ مؤلف بكتاب يكتبه وينشره بين الناس، **فالإنجيل كتاب موحى به من الله**، أي أنّ الله هو الذي أمر بكتابته، والروح القدس هو الذي حرّك الرسول للكتابة، ووشحه بقوته، وملأه من الحرارة والمحبة، وشجعه على العمل، وبعث إليه الأفكار والمعاني، وطهره من البواعث والدوافع البشريّة، ورفع عقله وقلبه إلى السماء، وحشد في ذهنه المعارف، **وعصمه من الزلل والخطأ**. فالإنجيل إذن بشارة الوحي الإلهي للبشر، كتبها رسول للمسيح بقلمه ويده، ولكنها مع ذلك كتاب الله؛ لأنّ الرسول كان أداة أملى الله بها رسالته، وكأنّه أيضًا قيثارة نفخ الروح القدس فيها لحنًا سماويًّا، وليست القيثارة في الحقيقة غير الأداة أو الوسيلة التي استخدمها الروح القدس ليبلغ بها وعن طريقها إرادة الله للناس. هذا هو المفهوم المسيحي للوحي والإلهام».[١]

ينص هذا الاعتقاد على الآتي:

١ – أنّ الأناجيل موحى بها من الله.

---

(١) موسوعة الأنبا غريغوريوس، الأنبا غريغوريوس، ج٣، ص٣٤

٢- لا دور لكاتب الإنجيل فيه، فهو يكتبه بإملاء وليس لفكره وثقافته وتأثيرات البيئة دخل في الكتابة. فهو أداة استخدمت للكتابة وفقط.

٣- كاتب الإنجيل معصوم عن الخطأ، وبالتالي الأناجيل الأربعة؛ فالذي أملاها كما يعتقدون هو الروح القدس، وبناء عليه يستحيل عقلاً أن تتناقض هذه الأناجيل فيما بينها.

وبناء على نظريّة الإلهام تلك؛ يمنع أيّ نقد كتابي، وترفض نظريّة المصادر المتعددة للأناجيل، ويرفض أيّ تناقض بين الأناجيل؛ فالملهم يستحيل عليه الخطأ فضلاً عن التناقض.

موقف الأب متى المسكين من القول بإلهام الأناجيل

في البداية يعرّف متى المسكين الإنجيل بأنّه: «الخبر السار أو البشارة المفرحة. فهو ليس مؤلف أدبي أو علمي أو تاريخي، بل رسالة خلاص مبهجة جاء بها المسيح معلنًا عن كشف أو استعلان أو انفتاح طريق الخلود والحياة الأبديّة وبدء زمان الأخرويات».[1]

وعيسى هو نفسه الإنجيل؛ لأنّه الخبر المفرح الذي جاء لخلاص العالم؛ يقول متى المسكين: «وكما تراه الكنيسة وتعيشه، فإنجيلها هو ربنا يسوع المسيح».[2]

وهذه البشارة دونت بعد ذلك في صورة الأناجيل؛ لأنّها تتحدث عن سيرته وتعاليمه، وموته وقيامته كما يعتقدون؛ يقول متى المسكين:

(١) المدخل لشرح إنجيل يوحنا، متى المسكين، ص٣٣٥، دير الأنبا مقار، الأولى، ١٩٩٠م.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٣٣٥

«فالمناداة بالكلمة الشفهيّة عن استعلان الخلاص الذي تمّ في المسيح وبه، التي قالها المسيح عن نفسه، كُتبت بعد ذلك في كتاب هو الإنجيل، مُسجَلاً فيه كلّ ما قال المسيح وعمل، وبالدرجة الأولى موته وقيامته، حتى يقبله الناس ويؤمنوا به فيخلصوا».(١)

ويتضح من هذا أنّ الأناجيل الأربعة جاءت لتتحدث عن فكرة الخلاص، وملخصها أنّ المسيح جاء ليخلص البشريّة من خطيئة آدم المتوارثة بأكله من الشجرة، وأنّ طريق عفو الله ورحمته قد أغلقا إلا عن طريق الفداء بالمسيح الذي يصلب ويقتل كما هو معتقدهم.

ومن ثمّ فإنّ متى المسكين يستهين بكلّ نقد للأناجيل طالما أنّ هذه الفكرة واضحة، فيؤكد أنّه «إذا أقدم العلم والعلماء ليفحصوا الإنجيل على مستوى كلماته وتراكيبه وحروفه وأسلوبه الأدبي فقط، دون أن ينتبهوا لمحتواه الروحي الأساسي، يكون العلم والعلماء قد عثروا عثرة بليغة تكاد تكون مميتة في فهم الإنجيليين وقصدهم الذي كتبوا من أجله الأناجيل».(٢)

وما يظهر من كلام متى المسكين أنّ الأناجيل الأربعة متضاربة متناقضة، لكنّ الخطأ أن نقف عند هذه التناقضات دون الالتفات إلى المحتوى الروحي.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٣٣٥، ٣٣٦

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٣٣٦

ويؤكد متى المسكين على عدم مشروعيّة نقد العلماء للأناجيل بقوله: «وهكذا عندما بدأت المقارنات بين الأناجيل على **المستوى التاريخي والحرفي** واللفظي، ظهر في الحال إنجيل يوحنا أنّه مخالف لبقيّة الأناجيل الثلاثة، فابتدأت تتسلط عليه أضواء النقاد؛ واصطدموا حتمًا، وبالضرورة، بالمفارقات والمتضادات بين إنجيل يوحنا والثلاثة الأناجيل؛ لأنّهم سقطوا تحت مقتل الحرف: "الحرف يقتل" (٢كو٣: ٦) وأمّا الروح ففلت من بين أيديهم وعقولهم المتصارعة مع الحق الإلهي المختبئ وراء الحرف المكتوب. وهكذا انطمست معالم التركيب الروحي العميق في الإنجيل أمام عقولهم، ليس في إنجيل يوحنا فحسب بل وكلّ الأناجيل».[1]

إذن من هذا النص نستطيع استنتاج أنّ الأناجيل فيها تضارب من حيث التواريخ والأحداث والتراكيب والألفاظ وغيرها، وهذا منطوق كلامه.

ثمّ إنّه لا يجوز توجيه سهام النقد لُكّتاب الأناجيل؛ لأنّ المهم هو فهم فكرة الخلاص أو التعليم الروحي للأناجيل.

ومن ثمّ فإنّ دعوته تلك تلغي العقل ودوره، وتقف أمام أي نقد للأناجيل وإن كان التناقض واضحًا جليًّا.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص ٣٣٦

والسؤال هل وقف متى المسكين عند هذا الدور الذي حدده لنفسه؟

الحق أنّ متى المسكين له فهم خاص لمصطلح الإلهام يختلف فيه عن فهم الكنيسة؛ ذلك أنّه يقرر أنّ «الإنجيل المكتوب من الرسل هو حالة إلهام تسجلت تسجيلاً أكثر من أن يكون حرفيًّا أو كلاميًّا، **فالإلهام إحساس بالحق لا ترسخه مجرد الحروف والكلمات**».(١)

وما دام الإلهام هو عبارة عن الإحساس بأنّ ما يُكتب هو الحق، فإنّ تفسير الأناجيل هو الآخر بمثابة كتابتها؛ يقول متى المسكين: «فإن كان برهان الروح القدس عند الرسل هو نطق كلمة الإنجيل فبرهان الروح القدس عند الآباء هو تفسيرها على مستوى إلهي. **وتفسير الكلمة حالة حلول لا تقلّ عن النطق بها**. واستخلاص العقيدة من نصوص الإنجيل عمل إلهامي لا يقلّ عن وضع الإنجيل نفسه؛ لأنّ في كليهما يبلغ العقل في مواجهة الحق».(٢)

فالإلهام في تفسيره ليس وحيًا بمعنى أنّ الروح القدس أملاه إملاء على كاتبه، وليس كاتب الإنجيل مجرد أداة في يد الروح القدس كما يعتقد آباء الكنيسة الأرثوذكسيّة.

ولهذا فإنّ متى المسكين قد مارس النقد وأشار إلى التناقض في الأناجيل، وذلك على مستويات عدة.

---

(١) الروح القدس، الرب المحيي، متى المسكين، ج٢، ص٣٩٧، دير الأنبا مقار، الأولى، ١٩٨١م.

(٢) الروح القدس، الرب المحيي، متى المسكين، ج٢، ص٣٩٨،

أولها: أنّه لم يلغ كاتب الإنجيل، ولم يلغ تأثير ثقافته وبيئته على إنجيله كما فعلت الكنيسة؛ ولذلك يقول: «أوّل ما نريد أن نلفت إليه نظر القارئ هو أنّ لوقا وضع في صميم خطة تأليفه للإنجيل أن يلحقه بكتاب سفر أعمال الرسل».(١)

ويقول: «يعتبر إنجيل لوقا أغنى الأناجيل وأكبرها حجمًا؛ وهذا بسبب جمعه لمواضيع مختلفة كثيرة اختص بها لوقا من مصادره الخاصة جدًا، وهذه المواضيع الخاصة به استقاها من البيئة اليهوديّة».(٢)

ويقول: «انفتح هذا الإنجيلي الأممي (لوقا) للفكر والتراث اليهودي من مصدر الكنيسة الأم أورشليم، واستقى من التقليد اليهودي ما أثرى إنجيله وأعطاه الأساس الإلهامي المنفتح بالروح على خبرات حيّة نلحظها بسهولة تملأ إنجيله».(٣)

ويقول: «يمتاز إنجيل متى بالترتيب المنهجي حسب خطة سابقة ملأت أفكار الكاتب وأسماعه ودراساته فيما سمع وقرأ وجمع، فقد وضع في نفسه أن يقدم شخص يسوع على أنّه مسيا الأنبياء وابن داود وريث مملكة داود الأبديّة».(٤)

---

(١) الإنجيل بحسب القديس لوقا، متى المسكين، ص٢٠، دير الأنبا مقار، الأولى، ١٩٩٨م.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٢٠

(٣) نفس المصدر السابق، ص٢٠

(٤) الإنجيل بحسب القديس متى، متى المسكين، ص٤٥، دير الأنبا مقار، الأولى، ١٩٩٩م.

ثانيها: أشار إلى خطأ بعض كتاب الأناجيل؛ وذلك في مواضع متعددة مثل قصة الحمار والجحش الواردة في إنجيل متى ومرقس ولوقا حيث ينص على خطأ متى ومرقس، فيقول متى: «ومعروف أنّ الأدب النبوي اليهودي، وخاصة ما يأتي منه بالأشعار، يأتي تكرار الكلام لتحسين النغم والوزن ولتوضيح المعنى. وهنا يتضح في هذه الآية عملية التكرار أولاً في "يا ابنة صهيون" ثمّ "يا بنت أورشليم" ثمّ عاد يكرر "راكبًا على حمار" ثمّ أراد أن يوضح أنّه حمار صغير "ابن أتان" **فأخطأ النساخ وبعدهم المترجمون وكتبوها للهعلى حمارللّه وعلى للّهجحش ابن اتانللّه بإضافة الواو فجاء المعنى مغلوطًا وكأنّه جالس على حمار وعلى جحش معًا والصحيح أنّه حمار صغير أي جحش** ... **ولكن كما فهم النساخ للترجمة السبعينيّة هكذا نقل عنها القديس متى في إنجيله كما هي واضطر أن يعدل المعاني والألفاظ لتصير بالمثنى أي حمار وجحش ابن اتان معًا** فجاءت هكذا "فَلِلْوَقْتِ تجِدَانِ أَتَانًا مَرْبُوطَةً وَجَحْشًا مَعَهَا، فَحُلاَّهُمَا وَأْتِيَاني بِهِمَا. وَإِنْ قَالَ لَكُمَا أَحَدٌ شَيْئًا، فَقُولاَ: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِمَا. فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُهُمَا. فَكَانَ هذَا كُلُّهُ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: قُولُوا لابْنَةِ صِهْيَوْنَ: هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِيكِ وَدِيعًا، رَاكِبًا عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ. فَذَهَبَ التِّلْمِيذَانِ وَفَعَلاَ كَمَا أَمَرَهُمَا يَسُوعُ، وَأَتَيَا بِالأَتَانِ وَالْجَحْشِ، وَوَضَعَا عَلَيْهِمَا ثِيَابَهُمَا فَجَلَسَ عَلَيْهِمَا." (مت ٢١: ٢-٧) **هذا الخطأ بالنقل غير المقصود تلافاه كلّ من القديسين مرقس ولوقا ويوحنا**، حيث ذكروا أنّه جحش واحد فقط».[(١)]

---

(١) الإنجيل بحسب القديس يوحنا، متى المسكين، ج١، ص٧٢٨، ٧٢٩، دير

وإذا كان مرقس ولوقا قد أفلتا من هذا الخطأ الذي وقع فيه متى، فإنّ مرقس هو الآخر ناله نقد متى المسكين حين يقول: «ثمّ يمتاز مرقس بالقول إنّ الجحش لم يركبه أحد من الناس، وهذا أمر محال؛ إذ يتحتم تمرين الجحش على أحد يركبه في السابق وإلا استحال ركوبه».[1]

ثالثها: كُتاب الأناجيل لهم مصادر نقلوا معلوماتهم، وهو ما يُعد نسفًا لفكرة الإلهام بالمعنى الذي تعتقده الكنيسة؛ يقول متى المسكين عن إنجيل مرقس: «ولكن بالاستقراء المتأني وبفحص الإنجيل آية آية انتبهنا إلى أنّ الإنجيل هو عبارة عن تسجيلات متتابعة عن رؤية وسمع، والقليل منها نقلاً شفاهيًا من بطرس الرسول **أو نقلاً كتابيًّا من المخطوطات الأقدم جدًّا مثل المكنى عنها في أبحاث الكتاب المقدس بالحرف Q وهو ضائع وغير موجود**».[2]

هجوم آباء الكنيسة الأرثوذكسيّة على متى المسكين بسبب تفسيره للإلهام

وقد تعرّضت فكرة الإلهام بالمعنى الذي ذكره متى المسكين لكثير من النقد والهجوم من قبل آباء الكنيسة الأرثوذكسيّة؛ يقول الأنبا شنودة: «ونحن نعجب من هذه الجرأة الشديدة في الكلام، كيف أنّ تفسير الكلمة

الأنبا مقار، الأولى، ١٩٩٠م.

(١) الإنجيل بحسب القديس متى، متى المسكين، ص٥٦٧، دير الأنبا مقار، الأولى، ١٩٩٩م.

(٢) الإنجيل بحسب القديس مرقس، الأب متى المسكين، ص٤٢، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، الأولى، ١٩٩٦م.

حالة حلول لا تقلّ عن النطق بها؟ إنّ النطق بكلمات الإنجيل قال عنه القديس بطرس الرسول إنّه لم يكن مطلقًا بمشيئة إنسان "بل تكلّم أناس الله القديسين مسوقين من الروح القدس" (٢بط١: ٢١) أي في حالة وحي من الله». (١)

وإن جاز لنا هنا التدخل فإنّ هذا الاستدلال لا يرد على متى المسكين؛ لأنّه لم ينكر الإلهام، وإنّما فسّره بتفسير آخر هو الشعور بالحق من قبل الكاتب والمفسر على السويّة.

ثمّ يذهب الأنبا شنودة إلى أنّ تفسير متى المسكين للإلهام هو استهانة بالأناجيل فيقول: «فهل كلّ من يفسر بعض آيات الإنجيل أو يستخرج منها العقيدة يكون في حالة وحي وإلهام لا تقل عن نطق الرسل القديسين بآيات الإنجيل، وأيضًا يكون في حالة لا تقل عن وضع الإنجيل نفسه. ... **وهل كلّ كتب الآباء هي في مستوى الأناجيل أم هي استهانة بقيمة الأناجيل؟**». (٢)

والحق أنّ متى المسكين حاول هنا الرجوع إلى المنهج العلمي وأعاد للعلم اعتباره، ومحاولته هي محاولة للخروج من حالة الانغلاق التي

---

(١) النقد الكتابي، البابا شنودة الثالث، ص٢٢، الكليّة الإكليريكيّة العباسيّة، القاهرة، الأولى، ٢٠٠٤م.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٢٢، ٢٣ باختصار.

تعيـشها الكنيـسة الأرثوذكـسيّة المعـاصرة إلى الانفتـاح عـلى البحـوث العلميّة، وأيضًا قد أعاد للسند مكانته واعتباره.

ومن ثمّ تصبح الأسئلة العلميّة، مثل: من هو كاتب الإنجيل، وما هـي مصادره، وكيف نقلت الأناجيل؟ وهل هناك إمكانيّة للتحريف أولا؟ ذات جدوى وقيمة في الكنيسة.

المطلب الثاني: الأناجيل الأربعة سنداً في فكر متى المسكين

يضع متى المسكين تفسيرًا لكلّ إنجيل من الأناجيل الأربعة؛ فبدأ بإنجيل يوحنا، وقد أخرجه في ثلاثة أجزاء؛ المدخل في جزء والتفسير في جزئين. ثمّ شرح مرقس، ثمّ لوقا ثمّ متى.

أولاً: إنجيل يوحنا

وقد بدأ بإنجيل يوحنا لأهميته بالنسبة للعقيدة النصرانيّة؛ فهو الإنجيل الذي كُتب لإعلان ألوهيّة المسيح، ولم تتضح هذه العقيدة في الأناجيل الثلاثة الأخرى؛ ولذا يقول متى المسكين: «يتأكد لنا أنّ إنجيل القديس يوحنا اختص في التقليد بالروحانيّة واللاهوتيّة ... فالأناجيل الأخرى قد قسّطت في استعلان لاهوت المسيح».(١)

وهو الإنجيل الذي يستدل به على الموحدين وغير المؤلهين لعيسى عليه السلام من المسيحيين؛ يقول متى المسكين: «إنّ إنجيل القديس يوحنا كُتب في زمانه ليس لمواجهة صعاب زمانه وحاجة زمانه فحسب. فقد أسس الروح القدس هذا الإنجيل لكي يكون سهمًا مبريًا في كف الكنيسة وسلاحًا مشهورًا في وجه الباطل أينما وجد في أي زمان ومكان، والتاريخ يقص علينا ذلك: **فقد دخلت الكنيسة في القرن الرابع الميلادي في حربها الضروس ضد آريوس الكافر الذي أنكر لاهوت المسيح ودوّخ الكنيسة مع أتباعه، وأتباعه كانوا أساقفة صفًّا وراء صف، لأنّها كانت رجعة تنذر بالخطر الوبيل، وقف فيها القديس أثناسيوس أسقف الإسكندريّة ورئيس**

---

(١) المدخل لشرح إنجيل يوحنا، متى المسكين، ص٢٢، دير الأنبا مقار، الأولى، ١٩٩٠م.

أساقفة مصر يحارب وحده، ولكن كان إنجيل القديس يوحنا هـو مُعتَمـده، وكان سلاحه الأوّل والأمضى تجسد الكلمة، فهذا المعيار خير مَن يـدافع بـه عن لاهوت المسيح».[1]

ولهذا أولاه متى المسكين اهتمامًا خاصًا؛ فبدأ أولاً بشرحه مُقدمًا إياه على الأناجيل الثلاثة الأخرى، ثمّ جعل لشرحه مدخلاً جاء في مجلد كبير، وشرحه في مجلدين، فهو أهمّ إنجيل عنده.

سبب كتابة الإنجيل

يرجع متى المسكين سبب كتابة إنجيل يوحنا إلى حلّ المشكلات التي فرضتها الظروف السياسيّة والاجتماعيّة على المسيحيين، والسبب الثاني وهو الأهم هو أنّ إنجيل يوحنا هو المعبر عن أفكار بولس الجديدة على المجتمع المسيحي.

يقول متى المسكين: «وبدراسة إنجيل يوحنا نكتشف أنّه كما اهتمّ ليعالج مشاكل وتساؤلات نشأت كحتميّة فرضها توقف العبادة بعد خراب أورشليم والهيكل. كذلك نجده قد انشغل إلى أقصى حدّ **لتقنين المفاهيم الجديدة التي نشأت نتيجة كرازة القديس بولس** الرسول في هذه المناطق. وهذه المفاهيم تتركز في معنى حريّة البنين، وبطلان الاتكال على أعمال الناموس، والأهميّة القصوى للأيمان الشخصي في الفرد، **واستعلان لاهوت المسيح، وعموميّة الأناجيل للأمم**. فإنجيل يوحنا يوضح أنّ كلّ هذه **الاتجاهات الجديدة التي انبثقت من كرازة الروح القدس على**

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٣

يدي القديس بولس لم يغفلها المسيح في تعاليمه، فقد كان لكلّ واحدة منها موقف وتعليم».[١]

ومنطوق هذا الكلام ومفهومه أنّ تعاليم بولس الجديدة على المجتمع المسيحي – ومن ضمنها ألوهيّة المسيح –كانت في حاجة إلى إضفاء القداسة عليها ووضعها في صورة إنجيل مقدس ينقل تعاليم المسيح.

فتعاليم بولس لم تلق رواجًا في المجتمع المسيحي قبل تدوين إنجيل يوحنا، ومن هنا كان الإلحاح على تدوين إنجيل يظهر تعاليم بولس؛ يقول متى المسكين: «إذن، فسر الإلحاح على القديس يوحنا لكتابة إنجيله واضح، **لأنّ بلبلة الأفكار بسبب مهاجمة الهراطقة للإيمان المسيحي وتركيزهم على المسيح بالذات وإنكار لاهوته وقوّة الخلاص والفداء الذي أكمله، مع عدم كفاية المكتوب والمتناقل عن التقليد الرسولي**، هذا هو الذي أقنع القديس يوحنا للرضوخ لإلحاح الأساقفة والشعب».[٢]

فالكتب الموجودة قبل إنجيل يوحنا لا تعبر بالأساس عن أفكار بولس، أو كانت كذلك، وفي هذه الفترة المبكرة كان التوحيد هو شعار المسيحيّة، وقد جاءت أفكار بولس الجديدة – وهي لاهوت المسيح والخلاص والفداء وهي جوهر المسيحيّة الحاضرة – غريبة على المجتمع الذي أنكرها، وبالتالي كانت الحاجة ملحة لإنجيل يجعل هذه

(١) نفس المصدر السابق، ص٥٦

(٢) نفس المصدر السابق، ص٥٣

الأفكار من تعاليم المسيح نفسه حتى يتقبلها المجتمع، فكان إنجيل يوحنا هو المعبر عن أفكار بولس.

من هو كاتب إنجيل يوحنا؟

يذهب عامة النصارى - ومنهم متى المسكين - إلى أنّ كاتب إنجيل يوحنا هو يوحنا بن زَبْدي الصياد، وأبوه زَبْدي «كان صاحب مركب للصيد في بحيرة جنيسارت "طبريّة" ويقتني صيادين أجراء مما يدلّ على تيسر حاله».[١]

وأمّه سالومة أو سالي كما يختصرها الفرنجة[٢]، وهي أخت السيدة مريم؛ يقول متى المسكين: «والمعروف في التقليد أنّ سالومة هي أخت مريم أمّ الرب، فيوحنا يُعتبر بالتبعيّة ابن خالة الرب».[٣]

ويوحنا من تلاميذ المسيح الاثني عشر، «ولم يكن فقط من الاثني عشر بل وكان أيضًا المحبوب من بين الثلاثة المختارين بطرس ويعقوب ويوحنا. وإنّه وإنْ ذُكر على مدى الأحداث كآخر الثلاثة، إلا أنّه في النهاية وعند الصليب انكشف سرّ العلاقة العظمى التي كانت تربطه بالرب، ومستوى الثقة التي لا تحُد عندما تسلّم من فم المسيح أغلى وديعة تركها المسيح على الأرض "فلما رأى يسوع أمه، والتلميذ الذي كان يحبه

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٩

(٢) انظر: نفس المصدر السابق، ص٢٨

(٣) نفس المصدر السابق، ص٢٩

واقفًا. قال لأمه: يا امرأة، هوذا ابنك. ثمّ قال للتلميذ: هوذا أمك. ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته" (يو١٩: ٢٦، ٢٧)».[١]

وبعد رفع المسيح عليه السلام قبض اليهود على يوحنا مع بطرس وقدما للمحاكمة «ولكنهما أفحماهم بإجابات قاطعة فأطلقوهما».[٢]

ثمّ خرج بعد هذه الواقعة من أورشليم، ولم يعرف أين كانت وجهته، وإن كان متى المسكين يرجح أنهّا كانت إلى أنطاكية؛ يقول متى المسكين: «ويبدو أنّه غادر أورشليم حوالي سنة ٤٩م ... وربما يكون قد ذهب إلى أنطاكية ومكث هناك قبل استدعائه إلى أفسس».[٣]

والتاريخ هنا مظلم تمامًا فكما أنّه لا يعلم على وجه اليقين أين ذهب، لا يعلم كذلك مدة مكوثه قبل دخوله أفسس يقول متى المسكين: «ولم يتعرف المؤرخون المدققون على السنة التي دُعي فيها القديس يوحنا إلى أفسس، ولكنّهم استقروا جميعًا على أنّها ليست قبل سنة ٦٣م».[٤]

وقد استقرّ في أفسس يبشر فيها، وقد عمّر طويلاً، وقد اختلف مؤرخو النصرانيّة في عمره حين وفاته؛ يقول متى المسكين: «والعلامة أوريجانوس والعلامة ترتليانوس والمؤرخ يوسابيوس والقديس جيروم، هؤلاء كلهم شهدوا شهادة قاطعة أنّ القديس يوحنا الرسول عاش في

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٣٠، ٣١

(٢) نفس المصدر السابق، ص٣٤

(٣) نفس المصدر السابق، ص٣٥

(٤) نفس المصدر السابق، ص٣٦

أفسس حتى زمن حكم تراجان (٩٨ – ١١٧م) فإذا علمنا أنّ القديس يوحنا يصغر الرب بعشر سنوات فإنّ سني حياة يوحنا الرسول تكون حوالي ٩٠ سنة. ولكنّ القديس يوحنا ذهبي الفم يؤكد – من جهة أخرى – أنّه عاش ١٢٠ سنة».(١)

وبجانب هؤلاء يوجد من العلماء من أنكر أن يكون كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري، فمنهم من ذهب إلى أنّ كاتبه هو يوحنا آخر، فقد «كتب اسْتاذْلين في كتابه أنّ كاتب إنجيل يوحنا طالب من طلبة المدرسة الإسكندريّة بلا ريب».(٢)

ومنهم من ذهب إلى أنّ إنجيل يوحنا اشترك في تأليفه مجموعة من المؤلفين؛ يقول موريس بوكاي: «تقرر الترجمة المسكونيّة للإنجيل أنّ كلّ شيء يدل على أنّ النص المنشور حاليًا باعتبار أنّه الإنجيل الرابع أو إنجيل يوحنا إنّما ينتمي إلى أكثر من كاتب واحد».(٣)

وأنّ هناك بعض الإضافات التي طرأت على النص الأصلي للإنجيل مثل الأصحاح الحادي والعشرين الذي يقول فيه أ. كولمان: أنّه «قد كتبه

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٣٥

(٢) إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى: ١٣٠٨هـ)، ج١، ص١٥٦، تحقيق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية، الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م.

(٣) التوراة والأناجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث، دكتور موريس بوكاي، ص١١٠، ترجمة علي الجوهري، مكتبة القرآن، عابدين، القاهرة، بدون.

أحد التلاميذ وقد أضاف أيضًا بعض اللمسات إلى نص الإنجيل»[١]، ومثل قصة المرأة الزانية الذي تقول فيها الترجمة المسكونيّة: «أمّا ما يختص بشأن المرأة الزانية (الأصحاح ٧: ٣٥ إلى الأصحاح ٨: ١١) فالكلّ يتفق على الاعتراف بأنّ هذا النص مجهول الأصل، وتمت إضافته في زمن لاحق لظهور هذا الإنجيل».[٢]

موقف متى المسكين من القائلين بأنّ يوحنا الحواري ليس هو كاتب الإنجيل؟

ذكر متى المسكين مجموعة من العلماء أنكروا نسبة إنجيل يوحنا ليوحنا الحواري منهم:

١- «شتراوس (١٨٠٨ – ١٨٧٤) وهو لاهوتي ألماني هاجم حياة المسيح وأنكر أن يكون القديس يوحنا الرسول هو صاحب إنجيل يوحنا».[٣]

٢- مدرسة توبنجن «التي قامت في ذلك الوقت لمساندة شتراوس في نقده السلبي لإنجيل يوحنا، مدّعية أنّه من وضع متأخر عن القرن الأوّل بمائة سنة، ولا علاقة له بالقديس يوحنا الرسول، وأنّه من تأليف غنوسي».[٤]

(١) نفس المصدر السابق، ص١١٠

(٢) نفس المصدر السابق، ص١١٠

(٣) المدخل لشرح إنجيل يوحنا، متى المسكين، ص٣٦٩

(٤) نفس المصدر السابق، ص٣٧٠

٣- ألبرت توما (١٨٨٢)، وهولتزمان (١٨٨٥) «اللذين جاهرا بأنّ تعاليم القديس يوحنا مأخوذة من رسائل بولس الرسول».(١)

٤- لويزي (١٨٤٧ – ١٩٤٠) الذي «كان يدرس إنجيل يوحنا على أساس أنّه من وضع ما بعد منتصف القرن الثاني، مؤكدًا أنّه كحقيقة لا تُنقض. حتى ظهرت برديّة رايلاند في صعيد مصر تؤكد في المقابل أنّ الإنجيل من وضع لا يتجاوز القرن الأوّل بأي حال، وكانت لطمة له».(٢)

وبعد ذكر متى المسكين لهؤلاء النقاد ذكر بجوارهم مجموعة أخرى من النقاد دافعوا عن صحة إنجيل يوحنا «وحققوا أنّ كاتبه هو القديس يوحنا الرسول بن زبدي ... وقد استخدم معظمهم المنهج التقليدي في البحث العلمي الدقيق، وأثبت معظمهم أنّ إنجيل القديس يوحنا من وضع نهاية القرن الأوّل سنة ١٠٠م، أو ربما أقلّ قليلاً. الأمر الذي أثبتت البرديات التي اكتشفت بعد ذلك بنصف قرن صحة وصدق أبحاثهم».(٣)

ويولي متى المسكين برديّة رايلاند أولوّية خاصة فيعتبرها القول الفصل في مسألة صحة نسبة هذا الإنجيل ليوحنا الحواري فيقول: «القول الفصل: وأخيرًا ظهرت شهادة قاطعة مانعة من تحت رمال مصر من نجع حمادي من صعيد مصر ظهر فيها جزء من إنجيل يوحنا، عبارة عن ورقة

---

(١) نفس المصدر السابق،، ص٣٧٠

(٢) نفس المصدر السابق، ص٣٧١

(٣) نفس المصدر السابق، ص٣٧١، باختصار.

مخطوطة وعلى إحدى صفحاتها نص من إنجيل يوحنا الأصحاح ١٨ الأعداد من ٣١ – ٣٤ ، وعلى الوجه الآخر الأعداد من ٣٧ – ٣٨ لنفس الأصحاح، وهي الآن معروفة باسم برديّة رايلاند ومحفوظة في مانشستر تحت رقم ٥٢ . وبحسب بحوث العلماء تأكد أن يكون تاريخها ليس بعد عام ١٣٠م. وهذا هو البرهان النهائي أنّ الإنجيل الرابع خرج خارج أسيا الصغرى في تاريخ لا يمكن أن يتعدى الجيل السابق على بداية القرن الثاني. وبهذا يكون زمن كتابة إنجيل يوحنا ليس بعد سنة ١٠٠م. وذلك بحسب كلّ علماء الكتاب المقدس بلا استثناء أي في الزمن الرسولي بكلّ تأكيد! بل إنّ كثيرًا من العلماء يقول إنّها النسخة الأولى الأصليّة».(١)

ويعد موقف متى المسكين هذا محمودًا إذ يعد نقلة أخرى في التطور الفكري للكنيسة الأرثوذكسيّة، فالمعول عليه هو البحث العلمي وليس التقليد الكنسي، وهو ما يفتح باب النقاش المثمر البناء.

وإذا كان القول الفصل في صحة نسبة إنجيل يوحنا إلى يوحنا الحواري، وأنّه البرهان النهائي فإنّ ورقة البرديّة ليس فيها أنّ كاتب إنجيل يوحنا هو يوحنا الحواري، وإنّما فيها مجموعة من فقرات الإنجيل، وغاية ما فيها أنّ الإنجيل كان موجودًا قبل عام ١٠٠م.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٥١، ٥٢

إذن البرديّة ليست حجة على الإطلاق، واستنتاج متى المسكين أنّ كاتب إنجيل يوحنا هو يوحنا الرسول ليس قائمًا على برهان علمي كما ادعى.

والخلاصة، أنّ كلّ ما استندت إليه الكنيسة، واستند إليه متى المسكين لا يثبت صحة نسبة الإنجيل ليوحنا الحواري، وقد فنّد القس فهيم عزيز ما استندت عليه الكنيسة وبيّن أنّها لا تثبت هذه النسبة[1]، وانتهى إلى أنّ «أقوى برهان ضدّ كتابة الرسول يوحنا للإنجيل هو بطء الكنيسة في قبول الإنجيل».[2]

فقد رفضت الكنيسة هذه النسبة «ولم يعترف بنسبة الإنجيل إلى يوحنا الرسول سوى فالنتينوس الغنوسي الهرطوقي لأنّه كان يظن أنّ الإنجيل يصادق على تعاليمهم الهرطوقيّة».[3]

ولو كان الإنجيل مقطوعًا بنسبته إلى يوحنا الحواري ما تأخرت لحظة في قبول الإنجيل.

---

(١) انظر: المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، ص٥٥١

(٢) نفس المصدر السابق، ص٥٥١

(٣) نفس المصدر السابق، ص٥٤٧

ثمّ يقرر هذا القس أنّه «لا يمكن أن نزيل بجرّة قلم تلك الاعتراضات القائمة التي جعلت **أكثريّة** العلماء في العصر الحاضر ترفض أنّ الكاتب الفعلي للإنجيل هو يوحنا بن زبدي».(١)

متى كتب إنجيل يوحنا؟

اختلف مؤرخو المسيحيّة وكتابهم في تاريخ تدوين هذا الإنجيل، ولا يوجد يقين عندهم في تاريخ تدوينه؛ ولذلك كانت عبارة الدكتور جورج بوست: «ويظن أنّه كتب في أفسس بين سنة ٧٠، ٩٥م».(٢)

وقال القس فهيم عزيز: «تتأرجح آراء العلماء بالنسبة لتاريخ كتابة الإنجيل ما بين قبل ٧٠م إلى ما بعد ١٦٠ أو ١٧٥م».(٣)

وجاء في الموسوعة الكتابيّة التي كتبها مجموعة من اللاهوتيين: «فيما يختص بالزمن الذي ظهرت فيه كتابات يوحنا - بغض النظر عن الكاتب - فهناك الآن اتفاق متزايد في الرأي على أنّها ظهرت في نهاية القرن الأوّل أو في بداية القرن الثاني».(٤)

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٥٥٢

(٢) قاموس الكتاب المقدس، د جورج بوست، ج٢، ص٥٤٧، المطبعة الأميريكانيّة، بيروت، ١٩٠١م.

(٣) المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، ص٥٦٠

(٤) دائرة المعارف الكتابيّة، مجموعة من اللاهوتيين، ج١، ص٤٧٠، دار الثقافة، القاهرة، الثانية، بدون.

وعلى هذا النحو سار متى المسكين حيث يقول: «والمعتقد أنّه بمجرد موت دوميتيان سنة ٩٦م عاد القديس يوحنا إلى أفسس وكتب بعد ذلك إنجيله».[1]

ثمّ يجزم متى المسكين في موضع آخر أنّ الإنجيل كتب سنة ٩٥م[2]، ويجب أن نشير هنا إلى أنّ الأب متى المسكين أعطى تاريخين مختلفين لتدوين هذا الإنجيل، الأوّل بعد عام ٩٦م والثاني جزم بأنّه عام ٩٥م، مما يدل على عدم اليقين في تاريخ تدوين هذا الإنجيل.

موقف متى المسكين من قصة المرأة الزانية الواردة في إنجيل يوحنا

تنص القصة على أنّ الفريسيين من اليهود أرادوا امتحان المسيح عليه السلام، هل يتابع شريعة اليهود أو لا؟ فجاءوا بامرأة ضبطت متلبسة بجريمة الزنا، فسألوه: هل تُرجم أولا؟ فكان الجواب: من كان منكم بلا خطيّة فليرمها أولاً بحجر.

ونص القصة في يوحنا: «أَمَّا يَسُوعُ فَمَضَى إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ. ثُمَّ حَضَرَ أَيْضًا إِلَى الْهَيْكَلِ فِي الصُّبْحِ، وَجَاءَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الشَّعْبِ فَجَلَسَ يُعَلِّمُهُمْ. وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ امْرَأَةً أُمْسِكَتْ فِي زِنًا. وَلَمَّا أَقَامُوهَا فِي الْوَسْطِ قَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ، هذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسِكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ، وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنَّ مِثْلَ هذِهِ تُرْجَمُ. فَمَاذَا تَقُولُ

---

(١) المدخل لشرح إنجيل يوحنا، متى المسكين، ص٤٢

(٢) انظر: الإنجيل بحسب القديس مرقس، الأب متى المسكين، ص٢٨، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، الأولى، ١٩٩٦م.

أَنْتَ؟ قَالُوا هذَا لِيُجَرِّبُوهُ، لِكَيْ يَكُونَ لهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإِصْبِعِهِ عَلَى الأَرْضِ. وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ، انْتَصَبَ وَقَالَ لهُمْ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ! ثُمَّ انْحَنَى أَيْضًا إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى الأَرْضِ. وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّتُهُمْ، خَرَجُوا وَاحِدًا فَوَاحِدًا، مُبْتَدِئِينَ مِنَ الشُّيُوخِ إِلَى الآخِرِينَ. وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ وَالمْرْأَةُ وَاقِفَةٌ فِي الْوَسْطِ. فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى المْرْأَةِ، قَالَ لهَا: يَا امْرَأَةُ، أَيْنَ هُمْ أُولئِكَ المُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟ فَقَالَتْ: لاَ أَحَدَ، يَا سَيِّدُ! فَقَالَ لهَا يَسُوعُ: وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا».[١]

هذه القصة جزم بإقحامها في إنجيل يوحنا - قديمًا وحديثًا - علماء من المسيحيين، حتى إنّه جاء في هامش الكتاب المقدس الطبعة المشتركة هذا التعليق على هذه القصة «لا نجد ٧: ٥٣ - ٨: ١١ في المخطوطات القديمة وفي الترجمات السريانيّة واللاتينيّة. بعض المخطوطات تجعل هذا المقطع في نهاية الإنجيل».[٢]

وهناك من الطبعات من لم يذكر القصة في الإنجيل كطبعة روما حيث إنّ القصة محذوفة من نص الإنجيل.[٣]

---

(١) انجيل يوحنا، الأصحاح الثامن، الفقرات: ١ - ١٢

(٢) الكتاب المقدس، الترجمة العربيّة المشتركة، ص١٥٥، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، الطبعة الثلاثون، ١٩٩٣م.

(٣) انظر: الإنجيل المقدس، ص٣٠٠، طبعة روما، ١٥٩١م.

وموقف متى المسكين من قصة المرأة الخاطئة يتمثل في الآتي:

١- يذكر أنّ القصة في ظاهرها لا تنسجم مع سياق إنجيل يوحنا فيقول: «ويبدو أنّ القصة في ظاهرها لا تتمشى مع سياق أحاديث المسيح في الهيكل، ويعترض العلماء على وضع هذه القصة هنا في هذا الموضع من إنجيل يوحنا».(١)

ويرد هذا بأنّ يوحنا «أوردها كعادته كآية مخفيّة غاية في الأهميّة والخطورة».(٢)

٢- ذكر متى المسكين أنّ هناك مجموعة من العلماء يذكرون أنّ أسلوب كاتب القصة ولغته تختلفان عن أسلوب ولغة كاتب الإنجيل فيقول: «كما يعترض البعض الآخر على خروج هذه القصة من حيث صياغة الكلمات اليونانيّة والظروف المحيطة بالحديث عن أسلوب يوحنا، وخاصة لورود اسم "**الكتبة**" مع الفريسيين، وهو لقب لم يستخدمه يوحنا في إنجيله قط، وكذلك ورود "جبل الزيتون" وذكر الرب أنّه كان يعلم وهو "جالس" إلخ».(٣)

---

(١) الإنجيل بحسب القديس يوحنا، متى المسكين، ج١، ص٥٠٩

(٢) نفس المصدر السابق، ج١، ص٥١٢

(٣) نفس المصدر السابق، ج١، ص٥٠٩

ويقر متى المسكين أنّ لفظ الكتبة ليس من وضع يوحنا وذلك عندما يقول: «وذكر كلمة الكتبة مع الفريسيين ليس أصلاً من استخدام يوحنا وهي تخصيص للجماعة المدققة».[١]

٣- يذكر متى المسكين انقسام آباء الكنيسة حول هذه القصة فمن قائل بورودها، ومن قائل بعدم ورودها فقال: «ولقد انقسم الآباء الأوائل ما بين مؤكد لصحة الرواية ولورودها في مكانها الصحيح أمثال القديسين "جيروم" و"أغسطين" و"أمبروسيوس" وكثير من آباء الكنيسة الغربية، على **أساس ورود القصة بوضعها في نسخة الفولجاتا**».[٢]

إذن سبب انتشار القصة هو ورودها في الفولجاتا، والفولجاتا ترجمة شعبيّة ترجمها إيريناوس (جيروم) (٣٤٧ – ٤٢٠م) أحد آباء الكنيسة.[٣] فهي ليست مخطوطة من مخطوطات العهد الجديد، فهي ترجمة، وأقدم المخطوطات لم يرد فيها هذه القصة كالسينائيّة والفاتيكانيّة.

٤- يذكر متى المسكين أنّ بعض الآباء الذين أنكروا القصة كانت عندهم مشكلات نفسيّة جعلتهم ينكرون القصة يقول متى المسكين: «ويلاحظ الباحث (متى المسكين) أنّ الآباء الشرقيين كانوا هم الأكثر تحفظًا وامتناعًا، بل وحضًا للامتناع عن الخوض في شرح هذه القصة أو

---

(١) نفس المصدر السابق، ج١، ص٥١١

(٢) نفس المصدر السابق، ج١، ص٥٠٩

(٣) انظر: العهد القديم وعالمه وتحدياته، القس عيسى دياب، ج١، ص٦٢، دار منهل الحياة، لبنان، الأولى، ٢٠١٤م.

الرجوع إليها أو حتى ذكرها بالمرّة، بل وقد لجأ البعض إلى جحد صحة هذه القصة برمتها سواء بسبب اعتراضات خارجيّة في القصة أو اعتراضات جوهريّة أخلاقيّة. والذين جحدوا هذه القصة أو صمتوا إزاءها هم: أوريجانوس ويوحنا ذهبي الفم وكبريانوس. **ومعروف أنّ أوريجانوس كان محاربًا جنسيًا إلى الدرجة التي فيها خصى نفسه بنفسه، لذلك حذفها من شرحه لإنجيل يوحنا له ما يبرره من ظروفه الخاصة. ويوحنا ذهبي الفم كان مُضطهدًا على مستوى اضطهاد المعمدان بسبب التعليق على خطيّة الزنا، لذلك فإنّ حذف هذه القصة من تفسيراته يتمشى مع ظروف حياته وخدمته أيضًا**».[1]

فهو يقرر من حيث لا يدري أنّ هناك تلاعبًا حدث في الإنجيل، وهذا التلاعب كان من الآباء المؤتمنين على حفظ الدين، وسبب هذا التلاعب هو المشكلات النفسيّة، هذه المشكلات هي المتحكمة في الدين وليس العكس. ثمّ إنّ هؤلاء لم يتحلوا بالتقوى والورع اللذان يردعانهم عن جريمة تحريف الإنجيل. وكيف كان التحريف سهلاً؛ بحيث يحذف نص دون أن يكون هناك رادع أو مُراجع.

٥- السبب الذي من أجله تصبح القصة صحيحة في نظر متى المسكين أنّها وردت في كتاب تعاليم الرسل (الدسقولية) حيث يقول: «ولكنّ الذي يقطع بصحة هذه القصة وورودها بحالها في الإنجيل هو ورودها في كتاب تعاليم الرسل، وذلك في سياق صحة وضرورة قبول

---

(١) الإنجيل بحسب القديس يوحنا، متى المسكين، ج١، ص٥١٠

عودة الخطاة التائبين إلى الكنيسة ... **وقد أورد كتاب تعاليم الرسل القصة بكلماتها**».[1]

والقصة الواردة في تعاليم الرسل نصها كالتالي: «وأخرى أيضًا لما أخطأت وأقامها الشيوخ قدامه ليجعلوا الحكم له وخرجوا، فالرب العارف بالقلوب التي غفلت قال: هل حكم عليك الشيوخ؟ فقالت: لا. فقال لها: اذهبي ولا أنا أيضًا أحكم عليك».[2]

ولا شك أنّ هناك اختلافًا جوهريًا بين القصتين؛ فرواية يوحنا، فيها أنّ الفريسيين أرادوا إحراج المسيح بامتحانهم له، فهل يخالف شرائع اليهود في رجم الزاني أو لا؟ ومن ثمّ يجدون تهمة كي يحاكموه بها. وفي الدسقولية أو تعاليم الرسل أنّ الشيوخ لم يحكموا عليها وجعلوا الحكم له وخرجوا أي كانوا مُسلِّمين لحكمه.

ثمّ إنّ الدسقولية لم تذكر حوار المسيح مع الفريسيين مع أنّ القصة في صلبها هذا الحوار عند يوحنا. إلى غير ذلك من الاختلافات.

وهناك إشكاليّة أخرى تواجه استدلال متى المسكين بتعاليم الرسل هي أنّ تعاليم الرسل لا تصلح للاستشهاد بها لأمرين:

---

(١) الإنجيل بحسب القديس يوحنا، متى المسكين، ج١، ص٥١٠ باختصار.

(٢) انظر: تعاليم الرسل الدسقولية، ص٤٥١، اعداد وتعليق: د. وليم سليمان قلادة، دار الثقافة، القاهرة، الثانية، بدون.

الأوّل: أنها كما يرجح العلماء كتبت في العقود الأولى من القرن الثالث الميلادي[1]، فالدسقولية أو تعاليم الرسل كتبت بعد إنجيل يوحنا فلا تصح أن تكون شاهدًا له.

الثاني: أنّ الكلام بالأساس عن إقحام نص في إنجيل يوحنا ليس من أصل الكتاب، وليس هل وردت القصة في التراث المسيحي حتى يتم الاستشهاد بالدسقولية أو تعاليم الرسل؟!

٦- وعن سبب حذف القصة من المخطوطات هو خوف الآباء من الانحراف الأخلاقي، الذي تشجع عليه القصة؛ يقول متى المسكين: «ويكشف هؤلاء الآباء عن سبب غياب هذه القصة في المخطوطات الأخرى، وهو خوف الآباء الأوائل من استخدام هذه القصة كمشجع للانحلال الخلق مما حدا بهم إلى حذفها من نسخ بعض المخطوطات (أغسطين، ضد بيلاجيوس، ٢: ١٧)».[2]

فهذا تحريف آخر أقرّ به متى المسكين وهو ناتج عن مشكلة في متن القصة، أو نصها، فيفهم منها التشجيع على الجرائم الخلقيّة وغيرها، وهذا هو فهم الآباء الأوائل، وهو ما يرفضه متى المسكين ومن ثمّ راح يشرح القصة بحيث يخرجها من هذه التهمة، فأورد أنّ «القضيّة بالصورة التي قدموها للمسيح ناقصة ومبتورة. فالفاعل الأصلي مع المرأة غير موجود،

---

(١) انظر: علم الآبائيات باترولوجي، جوهانسن كواكستن، ج٢، ص١٦١، ترجمة: د. جرجس يوسف، مركز باناريون للتراث الآبائي، مصر الجديدة، الأولى، ٢٠١٧م.

(٢) الإنجيل بحسب القديس يوحنا، متى المسكين، ج١، ص٥٠٩

والشهود غير موجودين، وهم الذين يلزم أن يكونوا اثنين على الأقل، مع زوج المرأة إذا كانت متزوجة».(١)

وهذا الكلام مخالف لمنطوق القصة؛ فقد ذكرت في نهايتها "اذهبي ولا تخطئي أيضًا" وقد فسرها متى المسكين نفسه بقوله: «كما يلاحظ أنّه قبل أن يقول لها: لا تخطئي أيضًا قال لها: اذهبي، **محملة بقوّة براءة أو تبرير من عنده، هي لا تستحقها من بسبب أعمالها**».(٢)

ومن غير المعقول أيضًا أنّ الفريسيين وهم المتمسكون بالشريعة المتشددون في تطبيقها لم يأتوا بالشهود أو لم يستطيعوا توفير أركان القضيّة قبل عرضها على المسيح، وهم الذين أرادوا الإيقاع به. ثمّ إذا كان الأمر كذلك لماذا لم يرد عليهم المسيح بقوله: هي قضيّة لم تتوفر أركانها فهي دعوى ساقطة، وانتهى الأمر؟ ولماذا قال لهم: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ؟

فهذا التبرير من متى المسكين غير مقبول عقلاً، ولذا ذهب إلى تبرير آخر هو أنّ المرأة كانت في «حالة تلبس»(٣)، وأنّ الفريسيين كانوا «متعطشين لسفك الدم، مطالبين بحياة امرأة هي إنسان له حق الحياة كما

(١) نفس المصدر السابق، ج١، ص٥١١

(٢) نفس المصدر السابق، ج١، ص٥١٦

(٣) نفس المصدر السابق، ج١، ص٥١٢

لهم، واعتمادهم الوحيد في هذا السلوك الدموي اللاإنساني هو ناموس موسى». [١]

ثمّ إنّ المسيح إذا «حَكَمَ بحسب الناموس القائم على الحرف والدينونة، فقُتلت المرأة أمام عينيه وبحكم منه، يكون قد انحرف انحرافًا هائلاً عن مستوى الحب والرحمة والفداء الذي جاء ليرفعه عاليًا كمعيار للحياة الجديدة بكلّ مقوماتها، سواء من جهة الأخلاق العامة أو السلوك أو الخدمة أو التشريع أو القضاء. فالمسيح رفع الرحمة فوق العدل، وجعل المحبة والمصب». [٢]

ولو سرنا مع الأب متى المسكين في هذا التحليل فإنّه لا يعاقب مجرم على إجرامه، وبهذا المنطق سيسود الإجرام ويأكل القوي الضعيف، ولا يخشى القوي بأسًا ففعله مغفور له. وهو نفس السبب الذي رفضت من أجله القصة من قبل الآباء الأوائل فهي تشجع على الانحراف الأخلاقي!

ثانيًا: إنجيل مرقس

وهو أقدم الأناجيل في اعتقاد الكنيسة الأرثوذكسيّة، بل يذهب متى المسكين إلى أنّه ربما يكون أقدم وثيقة مسيحيّة وصلت أيدينا. [٣]

لكن من هو مرقس هذا؟

---

(١) نفس المصدر السابق، ج١، ص٥١٢

(٢) نفس المصدر السابق، ج١، ص٥١٢

(٣) انظر: الإنجيل بحسب القديس مرقس، الأب متى المسكين، ص٢٨

بحسب التقليد الكنسي فإنّ مرقس هذا اسمه يوحنا ومعناه الله تحنن، وتعني كلمة مرقس باللاتينيّة المطرقة الثقيلة.[١]

وقد ولد في مدينة كريني أو سيريني أو القيروان، وهي إحدى المدن الخمسة في إقليم برقة بليبيا الآن، وولد بعد المسيح بثلاث سنين[٢]، وفي القيروان تعلّم اليونانيّة واللاتينيّة.[٣]

هاجرت أسرته من القيروان إلى أورشليم بعد هجوم البربر على القيروان في أواخر عهد أغسطس قيصر وكان عمره يومها ١٨ سنة.[٤]

هل رأى مرقس المسيح؟

يقول التقليد الكنسي إنّ المسيح اختاره مع السبعين رسولاً[٥]، ويؤكد متى المسكين على أنّه شاهد عيان على الأحداث، وقد رأى الآلام المروعة قبل الصليب، ورأى خشبة الصليب، وغيرها من الأحداث.[٦]

وبجوار هذا الرأي نجد أنّ جميع المؤرخين المسيحيين قالوا بأنّ مرقس لم ير المسيح ولم يجتمع به.[٧]

---

(١) انظر: نفس المصدر السابق، ص٢٩

(٢) انظر: نفس المصدر السابق، ص٣٨

(٣) انظر: نفس المصدر السابق، ص٣٠

(٤) انظر: نفس المصدر السابق، ص٣٦، ٣٧

(٥) نفس المصدر السابق، ص٣٨

(٦) انظر: نفس المصدر السابق، ص٤٠

(٧) انظر: نفس المصدر السابق، ص٥١

ويرى متى المسكين أنّ هؤلاء جميعًا أخذوا عن بابياس أخذًا أعمى دون تحقيق[١]، وبابياس هذا كما يقول متى المسكين: «لم يكن يتكلم من نفسه، بل كان ينقل - حسب قوله - عن الكاهن المكرّم، ويُعتقد أنّه كان يتكلم عن يوحنا الشيخ "قد يكون هو يوحنا الرسول"».[٢]

يقول بابياس: إنّ مرقس «لم يسمع الرب ولا تبعه، ولكن فيما بعد تبع بطرس الذي جعل تعاليمه توافق السامعين».[٣]

وخطورة كلام بابياس تتمثل في إلغاء كلّ مصداقيّة لإنجيل مرقس؛ يقول متى المسكين: «أمّا تقليد جميع المؤرخين القدامى الآخرين الذين سجلنا أقوالهم من أقوال بابياس الذي يقول بقوله: إنّ مرقس لم ير الرب ولا سمعه يكون **قد ألغى كلّ مصداقيّة أقواله فيما يخص القديس** مرقس وإنجيله».[٤]

ومن ثمّ رفض متى المسكين كلام كلّ المؤرخين، ورفض كذلك كلام بابياس، واستند في هذا إلى رواية ساويرس ابن المقفع التي تفيد أنّ أبا مرقس كان من أصحاب الأموال، وعند قدومه أورشليم اشترى منزلاً

---

(١) انظر: نفس المصدر السابق،، ص٥١

(٢) نفس المصدر السابق، ص٤٣

(٣) نفس المصدر السابق، ص٤٣، وانظر: المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، ص٢١٨

(٤) الإنجيل بحسب القديس مرقس، الأب متى المسكين، ص٥٣

فيه علّية كان يعلم المسيح تلاميذه فيها، وبالتالي فإنّ مرقس قد رأى المسيح وسمع منه.

وفي هذا يقول متى المسكين: «ومعلوم أنّ عائلة مرقس كانت من أثرياء الجالية اليهوديّة في القيروان، ولما هاجرت إلى الأرض المقدسة استوطنت أورشليم، وأقام والد مرقس والذي ذكر الأسقف ساويرس ابن المقفع "من القرن العاشر" أنّ اسمه أرسطو بولس أقام بيته الكبير الذي اتسع لكلّ الرسل والتلاميذ للإقامة يوم الخمسين، مع علّية أعلى البيت كان المكان المفضل للمسيح. والمظنون بالتالي أنّه اشترى قطعة أرض في منحدر جبل الزيتون وهي التي سميت ببستان جشيماني».(١)

ولكني رجعت إلى تاريخ البطاركة لساويرس ابن المقفع فلم أجد الرجل قد نصّ على هذا أو أشار إليه، وقد ذكر خلاف ذلك.

فقد قال ساويرس ابن المقفع عن والد مرقس وعمه: «ونالهما بلايا عظيمة من قبيلتي البربر والحبش، ونهب جميع ما كان لهما في زمان أُغسطس قيصر ملك الروم، **ولأجل ذهاب مالهما** وما نزلا عليهما من البلايا رحلا».(٢)

فالرجل ينص على أنّ والد مرقص عندما دخل أورشليم كان من الفقراء؛ فقد ذهب ماله ونهبه البربر، وهو مخالف لما ذهب إليه متى

(١) نفس المصدر السابق، ص٤٠

(٢) تاريخ البطاركة، الأنبا ساويرس بن المقفع، ج١، ص١، إعداد الأنبا صموئيل، دار النعام للطباعة، ١٩٩٩م.

المسكين من أنّه كان من الأثرياء عندما دخل أورشليم، ولم يشتر بيتًا كبيرًا، ولا ضيعة جشيماني.

فقد أخطأ متى المسكين في النقل عن ساويرس بن المقفع، وعلى افتراض أنّ النقل صحيح، فإنّ رواية ساويرس ليست أولى من رواية بابياس؛ فبابياس كان في القرن الثاني، وساويرس في القرن العاشر، ورواية الأقرب أولى بالقبول من رواية الأبعد.

ولذلك ينص متى المسكين على أنّ صاحب البيت الوارد في إنجيل لوقا ٢٢: ١٢ هو مرقس في رأيه، وهذه عبارته: «صاحب البيت بحسب رأينا هو مرقس الإنجيلي».(١)

ومن ثمّ فإنّ القس فهيم عزيز أدق منه حين ضعّف هذه النسبة أي نسبة العليّة لمرقس(٢)؛

لأنّه لا يوجد مستند للقول بأنّ مرقس رأى المسيح وكان من تلاميذه السبعين، ويظل رأي بابياس قائمًا، فلم ير مرقس المسيح ولم يجتمع به.

مرقس بَعْدَ المسيح

يذكر سفر أعمال الرسل ١٢: ١٢ أنّ رسل المسيح كانوا يجتمعون في بيته، وقد رافق مرقس برنابا وبولس في رحلتيهما إلى قبرص(٣)، ولكنّ مرقس لم يشأ أن يكمل معهما الرحلة ففارقهما، وانحدر إلى أورشليم،

---

(١) الإنجيل بحسب القديس لوقا، متى المسكين، ص٦٨١

(٢) انظر: المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، ص٢١٨

(٣) انظر: الإنجيل بحسب القديس مرقس، الأب متى المسكين، ص٥٦

وبعدها صاحب برنابا وسافرا عبر البحر إلى قبرص، ثمّ «يختفي اسم مرقس من سفر الأعمال على مدى حوالي عشر سنين».[١]

ويرجح متى المسكين تبعًا للمؤرخة بوتشر أنّه عاد للمقاطعات الخمس: كيرين أو سيرين، بتلوماس أو برقة، أريسوني، وبرنيس، وأبولونيا. وأمضى فيها سنتين، ثمّ ذهب إلى الإسكندريّة، ومكث فيها سبع سنين، وبعدها عاد إلى أورشليم، وانطلق لملاقاة بولس في رومية.[٢]

ويشير متى المسكين إلى اختلاف المؤرخين حول زيارات مرقس[٣]، إلى أن يدخل الإسكندريّة عام ٦١م حسب أغلب المؤرخين.[٤]

وظلّ فيها إلى أن قتل عام ٦٨م؛ حيث تآمر عليه الوثنيون، فقبضوا عليه، وطوقوا عنقه بحبل، وألقوه في السجن، ثمّ قتلوه بعد تعذيب.[٥]

ودفن بالإسكندريّة، ثمّ سرق الإفرنج الجسد، وظلّ الرأس بالإسكندريّة.[٦]

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٥٦

(٢) انظر: نفس المصدر السابق، ص٥٨

(٣) انظر: نفس المصدر السابق، ص٥٨

(٤) انظر: نفس المصدر السابق، ص٧٨

(٥) انظر: مختصر تاريخ الأمّة القبطيّة في عصري الوثنية والمسيحيّة، سليم سليمان عبد السيد، ج١، ٢٨٠، ٢٨١، المطبعة المصريّة الأهليّة بالقاهرة، ١٩١٤م، وانظر: الإنجيل بحسب القديس مرقس، الأب متى المسكين، ص٧٨

(٦) انظر: مختصر تاريخ الأمّة القبطيّة في عصري الوثنية والمسيحيّة، سليم سليمان عبد السيد، ج١، ص٢٨٤، المطبعة المصريّة الأهليّة بالقاهرة، ١٩١٤م، وانظر:

هل مرقس هو كاتب الإنجيل؟

يـذهب التقليـد الكنـسي إلى أنّ كاتـب إنجيـل مـرقس هـو مـرقس الإنجيلي، وبجوار هـذا الـرأي نجـد أنّ بابيـاس وإيريناوس، وإكلمينـدس السكندري، وترتيليان، وأوريجانوس، ويوسـابيوس القيـصري، وجيروم، وغيره من المؤرخين القـدامى يـذكرون أنّ مـرقس لـم يكتـب الإنجيـل مـن عند نفسه، أي لم يكن بإلهام الروح القدس لمرقس بتعبير الكنيسة، وإنّما هو تعاليم بطرس نقلها مرقس.[١]

وبجانب هذا الرأي نجد ابن البطريق يقول: «وفي عصر نـارون قيـصر كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقس عن مرقس في مدينـة روميـة، ونسبه إلى مرقس».[٢]

ومعنـى هـذا أنّ كاتـب الإنجيـل هـو بطـرس، وقـد أخـذه مـن تعـاليم مرقس، ونسبه بطرس بعذ ذلك إلى مرقس.

موقف متى المسكين من هذا الخلاف

يرفض متى المسكين رأي بابياس، وينفرد برأي هو أنّ كاتب الإنجيل هو مرقس الإنجيلي، لكنّه أفاد من بطرس رئيس الحواريين فيقول: «ولكن لا ينبغي أن ننفي عن إنجيل مرقس بعض الاعتماد على كلّ مـن القديـسين

الإنجيل بحسب القديس مرقس، الأب متى المسكين، ص٧٨ – ٨٢

(١) انظـر: الإنجيـل بحـسب القـديس مـرقس، الأب متـى المـسكين، ص٤٣ – ٥٠ حيث ذكر متى المسكين القائلين بهذا الرأي، ونقل أقوالهم. وانظر: دائرة المعارف الكتابيّة، ج١، ص٤٦١ – ٤٦٣

(٢) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، سعيد بن البطريق، ص٩٦

بطرس وبولس فقد خدم معهما، وهو وإن كان قد أخذ شيئًا من بطرس فقد أعطى أشياء للقديس بولس».[١]

فهو يجتمع مع التقليد الكنسي في أنّ كاتب الإنجيل هو مرقس، ويفارقه في أنّ مرقس اعتمد على بطرس فهو من مصادره؛ ولذلك يقول: «ولكن بالاستقراء المتأني وبفحص الإنجيل آية آية انتبهنا إلى أنّ الإنجيل هو عبارة عن تسجيلات متتابعة عن رؤية وسمع، **والقليل منها نقلاً شفاهيًا من بطرس الرسول** أو نقلاً كتابيًّا من المخطوطات الأقدم جدًا مثل المكنى عنها في أبحاث الكتاب المقدس بالحرف Q وهو ضائع وغير موجود».[٢]

نهاية إنجيل مرقس

يرفض غالبيّة علماء النصارى النهاية الموجودة في إنجيل مرقس والتي تبدأ من الفقرة ٩: ٢٠ من الأصحاح ١٦، ويجزمون بأنّها مضافة للنص الموجود في الإنجيل، وقد حرصت بعض الترجمات للكتاب المقدس على التنبيه على أنّ هذه الفقرات غير موجودة في أقدم المخطوطات.[٣]

وتتلخص الأسباب التي من أجلها رُفضت هذه الفقرات في الآتي:

---

(١) الإنجيل بحسب القديس مرقس، الأب متى المسكين، ص٥٣

(٢) نفس المصدر السابق، ص٤٢

(٣) انظر: الكتاب المقدس، الترجمة العربيّة المشتركة، هامش ص٨٦

١- لا توجد هذه النهاية في أهم مخطوطتين هما المخطوطة الفاتيكانيّة والمخطوطة السينائيّة[١]، بجانب مخطوطات أخرى، وكثير من الترجمات القديمة المعتمدة مثل السريانيّة والآراميّة.[٢]

٢- بعض المخطوطات والترجمات التي وجدت فيها هذه النهاية المضافة، جاءت مخالفة لبعضها البعض، فالنهاية المضافة نهايتان، «إحداهما كبيرة ٩: ٢٠، والأخرى صغيرة».[٣]

٣- الاختلاف في الأسلوب بين النهاية المضافة وبقيّة الإنجيل، وهو «اختلاف واضح»[٤] تدلّ عليه الشواهد مثل التعريف في هذه النهاية بمريم المجدليّة في الفقرة التاسعة المضافة كأنّها ذكرت للمرّة الأولى مع أنّها ذكرت في الفقرة الأولى من ذات الأصحاح على أنّها شخصيّة معروفة ولا تقلّ في ذلك عن مريم أمّ يعقوب وسالومة.[٥]

٤- النهاية الموجودة في أقدم المخطوطات لا تصلح أن تكون نهاية للإنجيل؛ وذلك «لأنّ الترجمة الحرفيّة له تنتهي بكلمة "لأنّه"، ولا يعقل

---

(١) انظر: المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، ص٢٣٠، التوراة والأناجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث، دكتور موريس بوكاي، ص١٠٤

(٢) انظر: المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، ص٢٣٠

(٣) نفس المصدر السابق، ص٢٣٠، وانظر: التوراة والأناجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث، دكتور موريس بوكاي، ص١٠٤

(٤) المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، ص٢٣٠

(٥) انظر: المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، ص٢٣٠

أن ينتهي كتاب هكذا ... وعلى هذا الأساس ينتهي الدارسون إلى النتيجة المنطقيّة بأنّ مرقس لم يترك إنجيله هكذا، لابدّ وأنّه كتب له نهاية ولكنّها فقدت لسبب ما، كأنْ قُطعت الورقة أو تشوهت الكتابة، وإلا فإنّ مرقس عندما وصل إلى العدد ٨ حدثت له حادثة منعته عن التكملة. إنّ كلّ شيء جائز إلا أن ينتهي الإنجيل بنهاية عدد ٨».[١]

وتفاديًا لهذه النهاية الفجائيّة للإنجيل قام أحد الكتبة بإضافة النهاية الصغيرة كي يتفادى النقص الموجود في النسخة التي بيده، ثمّ أضيفت النهاية الكبرى لإعلان النهاية الكبرى لإعلان ظهور المسيح لتلاميذه.[٢]

موقف متى المسكين

يجزم متى المسكين بأنّ نهاية إنجيل مرقس ليست من وضعه، وقد استند في هذا إلى آراء العلماء المدققين، ويجزم أيضًا أنّ واضع هذه النهاية هو أريستون وهو من السبعين رسولاً؛ ولذلك يقول: «نجد في إنجيل ق. مرقس الآيات (١٦: ١-٨) مسجَّلة بقلمه وروحه وقد شرحناها. أمّا الآيات الاثنتا عشرة الباقية (١٦: ٩-٢٠) فقد أثبتت أبحاث العلماء المدققين أنها فُقدت من الإنجيل، وقد أُعيد كتابتها بواسطة أحد التلاميذ السبعين المسمَّى بأريستون. وهذا التلميذ عاش في القرن الأول.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٣١

(٢) انظر: نفس المصدر السابق، ص٢٣١

وهذه الآيات الاثنتا عشرة جمعها أريستون من إنجيل ق. يوحنا وإنجيل ق. لوقا ليكمِّل بها القيامة. هذه الآيات لم نتعرَّض لها ولم نشرحها».[١]

وفي جزمه بأنّ أريستون هو واضع الإنجيل تساهل، أو أنّه كان يكتب وعينه على ردّة الفعل من قبل الكنيسة؛ فأحب أن يخفف من وطأة ردّة الفعل بأنّ أريستون هو المكمل وهو والآخر من السبعين، فبهذا تكون شهادة أريستون شهادة من رأى وسمع فلا تضيع المصداقيّة.

والحقيقة أنّه لا توجد في أي مخطوطة من المخطوطات القديمة تقول بأنّ كاتب النهاية هو أريستون الرسول، وإنّما وجد في مخطوطة أرمينيّة تعود لعام ٩٨٩م قبل العدد ٩ الأصحاح ١٦ مكتوبًا بالخط الأحمر بين السطور هذه العبارة aristoneritzu وهي تترجم "من أريستون، أو بواسطة أريستون".[٢]

وبهذا لا يمكن الجزم بأنّ أريستون هو أريستون الرسول خاصة أنّ المخطوطة ترجع للقرن العاشر، فكم من أريستون وجد؟!

ولهذا السبب لم يستطع كاتبو دائرة المعارف الكتابيّة أن يجزموا بأنّ أريستون الرسول هو كاتب هذه النهاية.[٣]

---

(١) الإنجيل بحسب القديس مرقس، الأب متى المسكين، ص٦٩٠

(٢) انظر: تحريف مخطوطات الكتاب المقدس، علي الريس، ص١١٢، مكتبة النافذة، الأولى، ٢٠٠٦م.

(٣) انظر: دائرة المعارف الكتابيّة، مجموعة من اللاهوتيين، ج١، ص٤٦٠

وإذا كان أريستون هذا وضع نهاية من نهايتين للإنجيل فمن وضع الثانية؟ وإذا كان أريستون الرسول قد وضع نهاية من اثنتين فلماذا توضع الثانية؟ ألم يكن أريستون هذا من السبعين؟

وبهذا يكون جزم متى المسكين بأنّ واضع نهاية إنجيل مرقس هو أريستون الرسول مجافيًا لحقائق العلم.

ومع جزم متى المسكين بأنّ نهاية إنجيل مرقس ضائعة، إلا أنّه يحاول التخفيف من هذا الجزم حين يجيز أن يكون مرقس قد ترك النهاية هكذا؛ يقول متى المسكين في نهاية شرحه لإنجيل مرقس: «بهذا يرتاح ضميري إذا أكون قد قدمت للقاري مفهومًا حقيقيًا عن القيامة مما **يتناسب مع الجزء الضائع من نهاية إنجيل مرقس**، بل ربما يكون هذا القديس البارع قد قصد أن يترك الحديث عن القيامة غير منته كدعوة منه لقارئ إنجيله أن يمتدّ بالتأمل الحر في معنى القيامة فوق ما تستطيع الألفاظ والكلمات أن تعبر عنه. هذا هو رأينا في معنى الجزء الناقص من الأصحاح السادس عشر في إنجيل مرقس كما يراه قبطي عاش إنجيل مرقس وأحبه».[١]

وهذا التجويز أيضًا غير مقبول؛ لأنّ أقدم المخطوطات قد توقفت فجأة عند قوله "لأن" وهذه لا تصلح أن تكون نهاية مقصودة. ثمّ إذا كان قد قصدها فلماذا أكملها غيره؟

---

(١) الإنجيل بحسب القديس مرقس، الأب متى المسكين، ص٦٩٩

الحقيقـة الواحـدة هنـا هـو أنّ هنـاك ضـياعًا موجـودًا لنـصوص، وأنّ تلاعبًا حدث بإضافة أجزاء نسبوها للنص لم تكن منه.

وهي الحقيقة التي يذكرها الأب كانينجسر حين يقـول: «بـالنظر إلى خاتمة إنجيـل مـرقس بالأصـحاح الـسادس عـشر ٩ - ٢٠، ويعطينـا ذلـك فكرة واضحة عن مدى الحريّة التي كان كتاب الأناجيل يتمتعون بهـا عنـد كتابتهم نصوص الأناجيل حتى أعتاب القرن الثاني الميلادي».[1]

هـذه هـي الحقيقـة الوحيـدة هنـا هـو أنّه كانـت هنـاك حريّة كبيرة في الحذف والإضافة في الأناجيل.

موقف الأنبا شنودة من جزم متى المسكين بضياع نهاية إنجيل مرقس

يعد موقف متى المسكين مـن نهايـة إنجيـل مـرقس يمثـل هـزّة داخـل الأرثوذكسيّة المحافظة على التقليـد الكنـسي، ولا تقبـل أيّ نقـد للأناجيـل سواء كان داخليًا أو خارجيًا، فنقد متى المسكين يعد تطورًا كبيرًا لم يعتد عليه آباء الكنيسة، ومن ثمّ كان الهجوم على متى المسكين من قبـل الأنبـا شنودة الذي يقول: «للمؤلف (متى المسكين) كتـاب عـن تفـسير الإنجيـل للقديس مرقس، توقف فيه عند (مر ١٦ : ١٨) حاذفًا ١٢ آيـة الأخـيرة منـه بحجة أنّ ضميره يرتاح للوقوف عند ذلك الحد».[2]

---

(١) نقلاً عن: التوراة والأناجيل والقـرآن بمقيـاس العلـم الحـديث، دكتـور مـوريس بوكاي، ص١٠٥

(٢) النقد الكتابي، البابا شنودة الثالث، ص١٠

وفي هجومه تعمّد الأنبا شنودة الحديث عن لأسباب الحقيقيّة التي من أجلها جزم الأب متى المسكين بأنّ هذه النهاية ليست لمرقس؛ فلم يتعرض للمخطوطات القديمة، ولم يتعرّض للأسباب التي من أجلها رفض معظم العلماء هذه النهاية؛ فكان الحديث عن قول متى المسكين: "بهذا يرتاح ضميري"، وأخذ يتعجب منه قائلاً: «وهنا نتعجب: ما الذي يتعب ضميره في تلك الآيات الـ ١٢».[١]

وخرج عن محلّ النزاع إلى تبكيت الرجل على موقفه فقال: «ظهور الرب لمريم المجدليّة (مر١٦: ٩ – ١١)، مذكور في نفس الأصحاح (مر ١٦: ١) وفي (مت ٢٨: ١) وفي (يو ٢٠) فما الذي يتعبه في أن يذكره مارمرقس مرة أخرى حينما أراد تلخيص أحداث الظهور؟».[٢]

ولم يكن اعتراض متى المسكين على تكرار قصة المجدليّة، وإن كان غيره من العلماء اعترض على ذكر النهاية، واعتراضهم على تغير الأسلوب والتعريف بها مع أنّ الإنجيل ذكر أنّها معروفة كما مرّ ذكره، وهي الأخرى لم يذكرها شنودة.

لقد كان كلام متى المسكين على أنّ العلماء المدققين أثبتوا – بناء على أسباب علميّة – أنّها ليست من الإنجيل، فكان يجب مناقشة الأسباب لا الهجوم على شخص الرجل.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١٠

(٢) نفس المصدر السابق، ص١١

ثالثًا: إنجيل لوقا

ويحتل هذا الإنجيل المرتبة الثالثة بين الأناجيل؛ ويرى متى المسكين أنّ مرتبة هذا الإنجيل ثابتة في الكنيسة، على حين أنّ غيره من الأناجيل تأرجحت مكانته بل انعدمت في الكنيسة في وقت من الأوقات، وفي هذا يقول: «بدأت الكنيسة في عصرها الأول شديدة التأثر بإنجيل ق. يوحنا خاصة في الشرق وعلى وجه التحديد مصر، وبعد العصر الأوّل الذهبي لإنجيل القديس يوحنا بدأت الكنيسة تنتبه إلى إنجيل ق. متى بسبب مجموع أقوال الرب والأمثال والنبوات التي أضاءت الطريق. وبعدها جاء إنجيل ق. لوقا بسبب الأصحاحين الأولين عن البشارة وميلاد المسيح. أمَّا إنجيل ق. مرقس فتعطَّل في اللحاق بالأناجيل للإشاعة التي أذاعها بابياس أسقف هيرابوليس أنّ ق. مرقس لم يَرَ المسيح ولم يسمعه، وذلك عن قصور واضح في إدراكه للإنجيل. ثمّ إنّ الآباء أُعثروا في اختصار إنجيل ق. مرقس إذ حسبوه مختصرًا لأناجيل ق. متى والقديس يوحنا والقديس لوقا ولم يأتِ بشيء جديد، في حين أنّه كان هو المصدر الأساسي الذي أخذوا منه وأضافوا ما أضافوا من التقليد والمصادر الأخرى، **وبقي إنجيل ق. لوقا في وضعه بالنسبة لأهميته بعد إنجيلي ق. متى والقديس يوحنا، ولكن بسبب الأصحاحين الأولين عن ميلاد الرب احتفظ بمكانة خاصة. وهكذا استقر مركز إنجيل لوقا في ذهن الكنيسة كالثالث في المرتبة بعد إنجيلي ق. يوحنا والقديس متى**».(١)

---

(١) الإنجيل بحسب القديس لوقا، متى المسكين، ص٥١، ٥٢، دير الأنبا مقار، الأولى، ١٩٩٨م.

فمن هو كاتب هذا الإنجيل؟

كاتبه هو لوقا المولود بأنطاكيا بسوريا وهو «الأمر الذي يقرّه كل العلماء المحدثين، ولكن دون براهين إضافيّة».[١]

وقد كان وثنيًا، ولم تعرف قصة دخوله المسيحيّة، ولذلك اختلفوا، هل انتقل من الوثنيّة إلى اليهوديّة، ثمّ إلى المسيحيّة، أو من الوثنيّة إلى المسيحيّة مباشرة؟

يقول متى المسكين: «القديس لوقا ليس أصلاً من أهل الختان. ولكن يقول ق. جيروم: إنّه ربما كان دخيلاً على اليهوديّة قبل قبوله الإيمان المسيحي. ولكن ق. يوستين يرجِّح أنّه انتقل من الوثنية إلى المسيحية مباشرة».[٢]

ويؤكد متى المسكين على أنّه لا تعرف كيفيّة دخول لوقا للمسيحيّة، وعلى يد مَنْ، ومتى كانت؟

فيقول: «ولكن لا يُعرف متى قَبِلَ ق. لوقا الإيمان المسيحي وأين كان ذلك؟».[٣]

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١٧

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٧، ١٨

(٣) نفس المصدر السابق، ص١٨

وقد اختلفوا أيضًا في مهنته، فمن قائل إنّه كان طبيبًا. ومن قائل إنّه كان رسّامًا.

يقول متى المسكين: «ويقول أحد المؤرِّخين القدامى المدعو نيسيفوروس كالستوس "القرن الرابع عشر" عن مصادر سابقة له: إنّ ق. لوقا كان رسَّامًا، وينقل لنا التقليد المتأخِّر نوعًا ما أنّه هو الذي رسم صورة العذراء القديسة مريم الموضوعة الآن في كنيسة Santa Maria Maggiore بروما، وقد رسمها ق. لوقا حسب التقليد في أُورشليم وأُرسلت من أُورشليم إلى القسطنطينية حسب طلب الإمبراطورة أفدوكية سنة ٤٤٠م. لذلك يُحتسب القديس لوقا شفيع الرسَّامين».[١]

ولم يكن لوقا من الحواريين الاثني عشر، ولم يكن كذلك من السبعين، ومن أجل هذا لم يكن ممن شاهد وعاين الأحداث التي يرويها في إنجيله؛ ولذلك يقول متى المسكين: «واحتساب ق. لوقا من السبعين رسولاً لم يدخل التاريخ الكنسي إلاَّ في أيام ق. إبيفانيوس، ولكن من مطلع إنجيل ق. لوقا (١:١) يتضح أنّه لم يكن شاهد عيان لأيٍّ من مدوَّنات إنجيله، وبالتالي استحالة أن يكون من السبعين رسولاً».[٢]

وقد كان لوقا تلميذًا لبولس، ومرافقًا له في رحلاته وسجنه؛ يقول متى المسكين: «ومعروف أنّ ق. لوقا كان ذا اعتبار عالٍ جدًّا عند ق.

(١) نفس المصدر السابق، ص١٨

(٢) نفس المصدر السابق، ص١٨

بولس كمرافق ومعين وطبيب وكارز، وقد انضم ق. لوقا للقديس بولس في رحلته الثانية من ترواس وبقي معه حتى النهاية».[١]

ولما دخل بولس السجن في قيصريّة كان لوقا معه، كما رافقه في سجن روما، ولا يعرف عنه شيئًا غير هذا، فتنقطع أخباره نهائيًّا في سفر الأعمال، وبقيّة الأناجيل.[٢]

ولا يعلم أيضًا أين توفي «فلا يوجد مصدر موثوق به»[٣]، وجاء في قاموس أُكسفورد أنّه كتب إنجيله في اليونان وتوفّي في عمر متقدِّم في الرابعة والثمانين.[٤]

متى كتب إنجيله؟

يذهب متى المسكين إلى أنّه كتب الإنجيل قبل كتابته سفر أعمال الرسل، ولذلك يقول: «اتفق العلماء وبالأخص هارناك وبروس أنّ القديس لوقا وهو مرافق للقديس بولس في سجنه الأخير بروما ألّف سفر الأعمال في مدى السنتين اللتين عاش فيهما مع القديس بولس في البيت الذي استأجره، وذلك حوالي سنة ٦١م. وانتهى باستشهاد ق. بولس حوالي سنة ٦٢م لذلك توقّف ق. لوقا عن كتابة سفر الأعمال عند هذه

(١) نفس المصدر السابق، ص١٨

(٢) انظر: نفس المصدر السابق، ص١٩

(٣) نفس المصدر السابق، ص١٩

(٤) انظر: نفس المصدر السابق، ص١٩

النقطة. ويرجِّح العالِم جودت هذا الرأي. أمَّا الإنجيل فيبدو أنّه قد تمَّ قبل هذا الميعاد بقليل». [1]

مصادر إنجيل لوقا

لم يكن لوقا شاهد عيان على الأحداث، ولم يلق السيد المسيح عليه السلام، ولا بدّ أنّه استقى معلوماته من مصادر متنوعة، هذه المصادر عددها متى المسكين في الآتي:

١- بولس الذي رافقه في حله وترحاله؛ بيد أنّه كما يقول متى المسكين: «يخفي علاقة لاهوتيّة وفكريّة تعليميّة بالقديس بولس الرسول لا يسهل العثور عليها مباشرة، فهي منسوجة مع روايته». [2]

ويقول: «للأسف الشديد لم يدخل في حسبان كثير من الذين تعرَّضوا لشرح إنجيل ق. لوقا، وفات على الجميع مقدار تأثير ق. بولس الشديد في إنجيل ق. لوقا، غير أنّ ق. لوقا لم يُشِرْ إلى ذلك بل تركه للقارئ أن يستقرئه بالضرورة». [3]

٢- إنجيل مرقس، وهو المصدر الثاني من مصادر لوقا؛ يقول متى المسكين: «وفي نفس الوقت يحمل مصادر واضحة ومباشرة من إنجيل

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٨

(٢) نفس المصدر السابق، ص٢٣

(٣) نفس المصدر السابق، ص٢٥

ق. مرقس بألفاظها وأسلوبها، فلغة ق. مرقس تكشف هويّة صاحبها شاء الناقل أو لم يشأْ».[١]

ويضرب مثالاً على الاقتباس من إنجيل مرقس بقصة الشاب الغني، وقصة الأرملة؛ يقول متى المسكين: « اقتبس (لوقا) من ق. مرقس قصة الشاب الغني (١٨:١٨-٢٧) مع التحذير على صعوبة دخول الغني إلى ملكوت الله أكثر من مرور جمل من ثقب إبرة، وأيضًا قصة الأرملة ذات الفلسين التي ألقت أكثر من الجميع (٢١:١-٤)».[٢]

٣- إنجيل متى، يقول متى المسكين: «أمَّا إنجيل القديس متى كمصدر استقى منه القديس لوقا في إنجيله، فالعالِم أ. هـ. و. ماير يؤكِّد أن ق. لوقا اعتمد على القديس متى في الأجزاء غير الموجودة عند القديس مرقس ... وبالرغم من أنّ مادة إنجيل ق. لوقا تبدو ضعف ما حواه ق. متى وق. مرقس، إلاَّ أنّه اعتمد في هذا عليهما كليهما ولكن بأسلوبه الخاص».[٣]

ويضرب مثالاً على اقتباس لوقا بقوله: «واقتبس من ق. متى تطويب الرب للمساكين، ويُلاحَظ أنه بينما ق. متى حصرها في المسكنة الروحية » طوبى للمساكين بالروح "أوردها ق. لوقا بصفة أكثر شمولاً وبدون

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٣

(٢) نفس المصدر السابق، ص٤٩

(٣) نفس المصدر السابق، ص٢٤ باختصار

تحديد" طوباكم أيها المساكين (ptwco... = الفقراء (٦: ٢٠) حتى تشمل الفقر المادي أيضًا. وزادها تأكيدًا بأن أردفها بالويل للأغنياء».(١)

٤- مصادر شفهيّة ومكتوبة لتلاميذ المسيح؛ يقول متى المسكين: «أمَّا فيما غير الإنجيليين متى ومرقس كمصادر لإنجيل ق. لوقا فتقف أقوال الرسل أنفسهم، إمَّا الشفاهيّة أو المكتوبة، كمصدر هام للغاية».(٢)

٥- المصدر Q

والمصدر المرموز له بـ (ك) هو الكتاب الذي يضم تعاليم المسيح فقط، وهذا الكتاب فُقِد في مكان ما في أواخر القرن الأوّل عندما بدأ البعض بكتابة قصص حول المسيح.(٣)

ويقر متى المسكين بوجود هذا الكتاب، ويعده - مع العلماء خلافًا للكنيسة الأرثوذكسيّة - مصدرًا لإنجيل لوقا؛ وفي هذا يقول: «على أنّ الأبحاث الحديثة أظهرت أن ق. لوقا لم يعتمد على ما جاء في إنجيل ق. متى، ولكن كلاًّ من ق. لوقا وق. متى أخذ بدوره من نفس الوثيقة Q كلٌّ حسب أسلوبه».(٤)

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٤٩

(٢) نفس المصدر السابق، ص٢٤

(٣) الإنجيل المفقود، كتاب "ك" والأصول المسيحيّة، بيرتون ك. ماك، ص٥، ترجمة: محمد الجوار، دار الكلمة للنشر ـ دمشق، الأولى، ٢٠٠٧م.

(٤) الإنجيل بحسب القديس لوقا، متى المسكين، ص٢٥، ٢٦

ويقول متى المسكين: «بعد ذلك تثبّت القول بأنّ إنجيل ق. مرقس هو أقدم الأناجيل بوجه عام، على أنّه يوجد هناك مصدر آخر أسموه Q يقف خلف إنجيلي ق. متى والقديس لوقا، وأُخذ بهذا المبدأ بوجه عام حتى اليوم. ونشأ اتفاق عام بين العلماء أنّ السعي الدقيق وراء الأناجيل في تنازل تاريخي مدقِّق يوصلنا بلا عناء إلى المسيح متكلِّمًا بنفسه».(١)

الحريّة التي كان يصوغ بها لوقا إنجيله

يقرر متى المسكين أنّ لوقا كان يكتب بحريّة؛ فكان يُعدل في العبارات، ويغير كما يشاء! يقول متى المسكين: «على أن ق. لوقا بعد أن اعتمد على إنجيل ق. مرقس، عاد فأجرى على كل ما دوّن مراجعة منهجية غيَّرت قليلاً من الشكل الذي اعتمد عليه، وهذا نراه بوضوح إذ أصبح لإنجيل ق. لوقا أسلوبه الموحَّد والمميَّز. ولكن هذا لم يُعِقْ الباحثين من العلماء عن عمل دراسة مقارنة بين إنجيل ق. لوقا وإنجيل ق. مرقس ذات موضوعية من جهة النص. وفيها اكتشفوا أن التغيير الذي أجراه ق. لوقا على ما أخذه من إنجيل ق. مرقس أصاب بدايات الفقرات ونهايتها واحتفظ بالمضمون كما هو».(٢)

ويقول: «كما كان يحلو للقديس لوقا أن يغيِّر من الدقائق التي اهتم بها ق. مرقس، فمثلاً في مثل الزارع نجد الذي سقط على الأرض المحجرة عند ق. مرقس مات إذ ليس له جذر "أصل"، أمَّا عند ق. لوقا

(١) نفس المصدر السابق، ص٦٢

(٢) نفس المصدر السابق، ص٢٦

فجفَّ ومات لأنّ ليس له رطوبة، وهذا التعديل بالذات يوضِّح كيف أن ق. لوقا يلتزم بالحقائق دون الوسائل، في أخذه من المصادر».(١)

رابعًا: إنجيل متى

يرى متى المسكين - والقساوسة الأرثوذكس- أنّ إنجيل متى هو أهمّ إنجيل في الكنيسة، ومن ثمّ هو «إنجيل الكنيسة».(٢)

وترجع أهميته عند متى المسكين لأنّ «الكنيسة اعتمدت عليه منذ القديم جدًا في تحضير قراءاتها ومواسمها ومراسيمها على مدى السنة».(٣)

وإذا كان هذا الإنجيل بهذه الأهمّيّة، فمن هو كاتبه؟ وكيف وصل إلينا؟

كاتب هذا الإنجيل

حسب التقليد الكنسي فإنّ كاتب هذا الإنجيل هو متى الحواري الذي كان تلميذًا من تلاميذ المسيح الاثني عشر(٤)، ولم يشذ متى المسكين عن هذا التقليد فقال: «قبل أن ينخرط في سلك التلمذة للمسيح كان القديس متى يُسمَّى "لاوي"، وكان عشَّارًا، ربما على مستوى رسمي كمأمور ضرائب يجمعها لحساب الدولة الرومانيّة المحتلّة، لذلك كان هو وكلّ العشَّارين مكروهين من اليهود. ويبدو أنّه كان يجمع ضرائب ترانزيت

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٢٧

(٢) الإنجيل بحسب القديس متى، متى المسكين، ص٢٢

(٣) نفس المصدر السابق، ص٢٢

(٤) انظر: موسوعة الأنبا غريغوريوس، الأنبا غريغوريوس، ج٣، ص٣٥

للبضائع القادمة من سوريا عبر بحيرة طبريّة ليصير حصرها وأخذ الضريبة لمرورها عبر طريق كفر ناحوم – قيصرية على البحر الأبيض، ومنها إلى روما وقبرس والإسكندريّة. ولمَّا دعاه المسيح أخذ اسم متى ويعني: "عطية الله"، وإذا عاد القارئ إلى (مت ٩:٩، مر ١٤:٢، لو ٢٧:٥) يتأكّد من هذا، لذلك يلزم أن نعلم أنّ اسم متى واسم لاوي هما لشخص واحد رسول وإنجيلي بآنٍ واحد».[1]

فهو يجزم أنّ كاتبه هو متى الحواري، ويرفض إنكار هذه النسبة، ويعتمد في هذا على شهادات آباء الكنيسة بداية من بابياس على أنّ متى الحواري دوّن إنجيله بالعبريّة؛ وفي هذا يقول: «فالمتيقن في الكنيسة منذ البدء أن ق. متى كتب إنجيله أولاً بالعبريّة»[2]، لكنّ الحقيقة التي يجزم بها أيضًا متى المسكين أنّ الإنجيل المنسوب لمتى الآن ليس باللغة العبريّة، وإنّما باليونانيّة؛ وفي هذا يقول متى المسكين: «لقد بدأ القديس متى بكتابة إنجيله ليس بشكله الحاضر باللغة اليونانية».[3]

فكلام بابياس ومن تبعه عن إنجيل كتب بالعبريّة، وليس باليونانيّة، فهناك على الأقلّ سؤال ما هي علاقة الإنجيل المكتوب بالعبرية بالإنجيل المكتوب باليونانيّة؟ ولا بدّ أن تكون الإجابة بأنّ الإنجيل العبري هو

(١) الإنجيل بحسب القديس متى، متى المسكين، ص٢٦

(٢) نفس المصدر السابق، ص٣٣

(٣) نفس المصدر السابق، ص٣١

اليوناني بناء على أدلّة يقينيّة. وسوف نرى هل قدمها متى المسكين أو لا بعد هذه المسألة؟

وهناك سبب آخر - من أجله رفض الباحثون أن يكون متى الحواري هو الذي كتب الإنجيل الحالي المنسوب إليه-، وهو: أنّ إنجيل مرقس كان من مصادر إنجيل متى، وكيف يأخذ متى الحواري من مرقس الذي لم ير المسيح؟! كان من المفترض أن ينقل من لم ير ممن رأى وليس العكس، وفي هذا يقول القس فهيم عزيز: «فلقد استنتج العلماء بعد الدراسة أنّ إنجيل مرقس كان في متناول البشيرين الآخرين متى ولوقا وأنّهما قد استخدماه أساسًا لكتابيهما، ولقد كان البشير متى بالذات أكثر الاثنين استخدامًا لهذا الكتاب في ترتيب الحوادث، وفي اقتباس جمل وكلمات كثيرة منه. وهذه حقيقة أضحت معروفة لدى جميع الدارسين. ولا ينكر عالم أنّ لغة إنجيل مرقس وأسلوبه في الكتابة يظهر أنّه كتب قبل الإنجيلين الآخرين».(١)

وهذه الحقيقة أقرّها متى المسكين حين دراسته لإنجيل مرقس الذي يقول فيه: «إنّ تسعة أعشار إنجيل ق. مرقس نُقلت بحذافيرها في إنجيل ق. متى!! وأكثر من نصف إنجيل ق. مرقس احتواه إنجيل ق. لوقا!! ويمكننا أن نصف الوضع هكذا: إنّ إنجيل ق. متى يعتبر نسخة مزادة لإنجيل ق. مرقس».(٢)

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، ص٢٤٣

(٢) الإنجيل بحسب القديس مرقس، الأب متى المسكين، ص٨٤

ويقول: «وإن كان ق. متى قد اقتبس الكثير من إنجيل ق. مرقس».[١]

ولكنّ متى المسكين مع إقراره بالنقل من إنجيل مرقس لم يناقش هذه القضيّة، وقد جزم قس آخر هو القس فهيم عزيز بأننا لا نعرف مؤلف إنجيل متى الحالي وذلك حين يقول: «وهنا يواجهنا السؤال: من الكاتب إذن؟ لا نستطيع أن نعطيه اسمًا».[٢]

وبهذا يكون البحث العلمي أوصلنا إلى جهالة الكاتب!

النسخة العبريّة واليونانيّة

إذا كان متى المسكين يرى أنّ «من الثابت علميًّا وتقليديًّا أنّ النسخة اليونانيّة لإنجيل القديس متى التي بين أيدينا اليوم هي نسخة مترجمة من الأصل العبري».[٣]

فهناك مجموعة من الأسئلة يجب الإجابة عليها، هل توجد نسخة من الإنجيل العبري موجودة الآن؟ وإذا كانت الإجابة بالنفي، فمن أين عرفنا أنّ الترجمة اليونانيّة عن الأصل العبري؟ ومن هو المترجم؟ وهل كان عالما باللغتين؟ وهل كان ثقة أمينًا في ترجمته؟

ماهيّة الأصل العبري

أمّا عن ماهيّة الأصل العبري فيقرر متى المسكين تبعًا لبابياس أنّ متى جمع أقوالاً للمسيح عليه السلام؛ يقول متى المسكين: «ولكنّ الذي نقبله علميًّا

---

(١) الإنجيل بحسب القديس متى، متى المسكين، ص٣٩

(٢) المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، ص٢٤٥

(٣) الإنجيل بحسب القديس متى، متى المسكين، ص٣٣، ٣٤

هو أنّ ق. متى لم يؤلِّف إنجيلاً بالمعنى التحريري، ولكنّه بحسب تقرير بابياس المنقول إلينا من خلال يوسابيوس أنّ متى كتب أو جمع معًا كلّ الأحاديث ... ويُلاحَظ هنا أنّ القديس متى لم يقم بشرح الأقوال المنقولة، ولكنّه قام فقط بتجميعها على هيئة مجموعة منسَّقة، وهكذا أمكن للعالِم ماير أن ينتهي في بحثه بأنّ إنجيل ق. متى بحسب بابياس هو عملية جمع وتنسيق لأقوال المسيح، ذلك باللسان العبري، ولكن لم يصل إلى المفهوم الكامل للترتيب التاريخي للإنجيل. غير أنّ ذلك لا يمنع أن يكون ق. متى قد أعطى مقدِّمات للأقوال تكون ذات مفهوم تاريخي».[1]

إذن الأصل العبري مختلف عن الإنجيل اليوناني الحالي، ويقرر متى المسكين أنّه أدخلت عند الترجمة أشياء جوهريّة في الإنجيل، وذلك حين يقول: «غير أنّه بترجمته إلى اللغة اليونانيّة يصح أن يكون العنصر التاريخي فيه قد ازداد وضوحًا، وبذلك قبلته الكنيسة حائزًا على قانونيّته باعتباره التأليف الأصلي للقديس متى ... كذلك فالذي نفهمه من عملية الترجمة من العبريّة إلى اليونانيّة أنّ الإنجيل العبري **قد جاز بالضرورة عملية تنسيق تنقيحي ليدخل إلى اللسان اليوناني**، ولكن لكي يدخل تحت تقديس كلمة رسولي كان يتحتَّم أن يكون بنفس روح وفهم الأصل العبري الذي اضطلع به ق. متى الرسول».[2]

(١) نفس المصدر السابق، ص٣٤

(٢) نفس المصدر السابق، ص٣٤، ٣٥ باختصار.

وإذا كانت هناك عمليّة تنقيح للنص العبري، فلا بدّ أن يكون المترجم أمينًا – على الأقل – على التعاليم، إن أجاز لنفسه التصرف في النصوص.

فمن هو المترجم الذي ترجم النص العبري؟

وهو السؤال الذي لم يجد له متى المسكين إجابة، ولذلك يقول: «أمَّا مترجم إنجيل القديس متى من العبريّة إلى اليونانيّة، فبحسب الفحص العلمي الدقيق لواقع الإنجيل باللغة اليونانيّة، يتضح أنّ المترجم هو شخص واحد بمفرده بسبب الأسلوب والنمط الواحد في التعبير الذي يسري في كلّ أجزاء الإنجيل. **أمَّا مَنْ هو هذا الشخص الذي قام بهذه الترجمة؟ فيقرِّر جيروم أنّه ليس لديه تحقيق مقنع لأنّ الآراء كثيرة للغاية**. فمن قائل إنّه القديس متى نفسه لأنّه كان يعرف اللسان اليوناني، ومن قائل بل تلاميذه، أو أحد الرسل أو ربما ق. يوحنا الرسول، أو تحت عناية عدَّة رسل، **فهي تخمينات لا يؤيدها برهان**».[1]

إذن هناك جهالة للمترجم، وقد فُقد الأصل العبري، ولم نعرف هل كان المترجم أمينًا أو لا؟ «كلّ هذا يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلمي».[2]

فكيف نجزم بأنّ النص اليوناني مطابق للنص العبري، وما هي تصرفات المترجم في النص؟ بل من أين لنا أن نعرف أنّ هذا الإنجيل هو إنجيل متى الحواري؟

---

(١) نفس المصدر السابق، ص٣٥

(٢) محاضرات في النصرانيّة، الإمام محمد أبو زهرة، ص٤٥

تاريخ تدون الإنجيل

الكلام هنا عن إنجيلين وليس إنجيلاً واحدًا؛ أحدهما: العبري، والثاني: اليوناني؛ فيرى متى المسكين «أنّ ق. متى جمع إنجيله في زمن مبكِّر جدًا عن زمن إذاعته في الكنيسة باعتباره إنجيلاً قانونيًّا. ثمّ أيضًا إنّ ظهور النسخة المترجمة كان بعد فترة طويلة من تجميع النسخة العبريّة الأُولى. وهذا حتمًا يكون قبل خراب أُورشليم بالنسبة للنسخة المترجمة».(١)

ومن ثمّ فإنّ متى المسكين يعطي تاريخين مختلفين؛ الأوّل للنسخة العبريّة، والثاني لليونانيّة.

أمّا بالنسبة للنسخة العبريّة فيؤكد متى المسكين على أنّ هناك خلافًا حول تاريخ ظهورها، فبينما يذهب البعض إلى أنّه كان سنة ٤١م، يذهب البعض الآخر إلى أنّه سنة ٤٨م.(٢)

وأمّا بالنسبة للترجمة اليونانيّة فيقول متى المسكين: «ويعطينا العالِم زاهن ميعادًا محدَّدًا لظهور ترجمة إنجيل ق. متى من العبريّة إلى اليونانيّة هكذا: إنّ ظهور الترجمة اليونانيّة لإنجيل ق. متى حدث قبل نهاية القرن الأول المسيحي، ذلك في إقليم آسيا الصغرى، ويؤكِّد الشهود أنّ ذلك كان قبل سنة ٩٠م».(٣)

---

(١) الإنجيل بحسب القديس متى، متى المسكين، ص٣٧

(٢) نفس المصدر السابق، ص٣٧

(٣) نفس المصدر السابق، ص٣٧، ٣٨

وإذا أقرّ متى المسكين هذا التاريخ للترجمة فإنّ المترجم ليس هو متى الحواري؛ لأنّ متى الحواري مات كما يقولون سنة ٧٠م أو سنة ٦٢م.

والخلاصة، أنّ هناك جهالة للمؤلف، وجهالة للمترجم، وفقد للأصل العبري، واختلاف حول سنة تدوين الأصل العبري، والنسخة اليونانيّة المترجمة.

المبحث الثالث: تناقض الأناجيل الأربعة وموقف متى المسكين منها

لا يوجـد شـك أنّ الكتـاب الإلهـي لا يمكـن أن يكـون متناقـضًا، فالتناقض: هو اختلاف القضيتين بالإيجاب والسلب، بحيث يقتضي لذاته صدق إحداهما وكذب الأخرى(١)، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، فلا يمكن الجمع بين زيد حي، وزيد ليس بحي، ولا يمكن أن يرتفعا بأن نقول زيد ليس بحي وليس بميت. فالتناقض إذن دليل الاضطراب، ولا يمكن أن يكون هذا في كتاب هذا في كتاب الله.

وهذا ما يعلمه النصارى الأرثوذكس، ومن ثمّ يرفضون نسبة أي خطأ للأناجيل؛ يقول البابا شنودة: «من يدخل في النقد الكتابي، وينسب خطأ لواحد من الإنجيليين، إنّما ينسى شيئًا آخر في منتهى الأهميّة، وهو موقف الوحي في كتابة الإنجيل: إن كانوا قد كتبوا الأناجيل مسوقين من الروح القدس كما يقول الكتاب فمن أين يأتيهم الخطأ؟ هل هذا اتهام للوحي الإلهي أم اتهام بعدم الوحي؟».(٢)

نعم إنّ الوحي لا يمكن أن يعتريه الخطأ فضلاً عن التناقض، ومن ثـمّ ترفض الكنيسة الأرثوذكسيّة أن يكون هناك تناقض في الأناجيل.

---

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، ص٦٨، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

(٢) النقد الكتابي، البابا شنودة الثالث، ص١٠

وإذا كان العلماء قد حصروا تناقضات في الإنجيل الواحد، وحصروا أيضًا تناقضات بين الأناجيل الأربعة، فما هو موقف الأب متى المسكين منها؟ هل انحاز لموقف الكنيسة؟ أو كان له رأي آخر؟[١]

أولاً: التناقض الموجود في الإنجيل الواحد وموقف متى المسكين منه

١ـ إنجيل متى

أ- جاء في الأصحاح السادس عشر أنّ المسيح عليه السلام جعل لبطرس مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا يرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا يحلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ، وهي مكرمة عظيمة لبطرس.

«فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ».[٢]

---

(١) لا تتسع هذه الدراسة لكلّ التناقضات التي ذكرها العلماء، ومن ثمّ سنقتصر على إيراد بعض النماذج.

(٢) متى ١٦: ١٧- ١٩

وقد جاء بعد هذا النص بفقرتين: «فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ قَائِلاً: حَاشَاكَ يَارَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا!» فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ: اذْهَبْ عَنِّي يَاشَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ». (١)

فالنص الأوّل يجعل لبطرس مفاتيح ملكوت السماوات، والنص الثاني يجعله شيطانًا، ولا يمكن أن يكون شيطانًا وله ملكوت السماوات، فإمّا أن يكون شيطانًا أو له ملكوت السماوات.

ويعلق متى المسكين على هذا التناقض بقوله: «وقد لا يتفق هذا الرد مع ما قاله المسيح سابقًا لبطرس بخصوص الصخرة التي سيبني عليها كنيسته». (٢)

فهو إقرار منه بأنّ النصين متناقضان، والسؤال: هل يعد بطرس شيطانًا أو له ملكوت السماوات؟

يقول الأب متى المسكين: «هناك فرقٌ بين أن يتكلَّم بطرس بما أوحى به الآب السماوي، وبما أوحى به الشيطان. وبين الاثنين مسافة زمنية تُعَدُّ بالدقائق». (٣)

ولا تعد هذه إجابة، بل تزيد الأمر تعقيدًا؛ إذا كان بطرس يوحى إليه من قبل الشيطان كما يوحى إليه من قبل الأب السماوي - كما يدعي – فما هو الفارق بين الوحيين؟ وما هي الضوابط التي تجعل الفرق حاسمًا؟

---

(١) متى ١٦: ٢٢- ٢٣

(٢) الإنجيل بحسب القديس متى، متى المسكين، ص٤٨٩

(٣) نفس المصدر السابق، ص٤٨٩

ب- ولا نكاد نفارق الأصحاح السادس عشر حتى نجد تناقضًا آخر، لكنّ هذه المرّة مع اليقينيات؛ يقول الأصحاح: «فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ ههُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ».[1]

والحقيقة الثابتة أنّ القائمين ذاقوا الموت ولم يأت ابن الإنسان آتيًا في ملكوته، فلم تقم القيامة، ومرّت مئات السنين ولم تقم القيامة.

ومع أنّ هذا النص واضح الدلالة إلا أنّ متى المسكين حاول الخروج من هذا التناقض بقوله: «ويعترض كثير من العلماء على حادثة التجلِّي أن تؤخذ بمفهوم مجيء المسيح في ملكوته. والغلطة التي عثروا فيها أنّهم أضافوا الآية (٢٧) إلى الآية (٢٨) بمعنى أنّه سيجيئ للدينونة. ولكن في رأينا أنّ الآية الثانية (٢٨) هي مصغَّرة من الآية الأُولى حيث يكون المجيء مجرَّد استعلان كيف سيجيئ في مجده ولكن ليس للدينونة».[2]

فهو هنا أخرج النص عن سياقه، وكلّ من يقرأه يعلم أنّ الكلام موصول، فهو يخبرهم أنّه سيأتي في مجد أبيه ليجازي كلّ واحد على عمله، وأنتم - بطرس ويعقوب ويوحنا - لن تموتوا حتى تشهدوا هذا. هذا ما يقوله النص. فتبرير متى المسكين يتعارض مع النص.

(١) متى ١٦: ٢٧- ٢٨

(٢) الإنجيل بحسب القديس متى، متى المسكين، ص٤٩٢

ج- وإذا كان متى المسكين يحاول في بعض المواضع التبرير والخروج من التناقض، فإنّه في بعض الأحوال يقف عاجزًا، ومثال ذلك عند تفسيره للفقرة ٢٣ من الأصحاح العاشر من إنجيل متى التي تقول: «وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هذِهِ المَدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلَى الأُخْرَى. فَإِنِّي الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُكَمِّلُونَ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنُ الإِنْسَانِ».

والحقيقة أنّهم أكملوا مدن إسرائيل وماتوا، ومضى على موتهم قرونًا طويلة[١]، وهو ما يجعل الخروج من هذا مستحيلاً، ومن ثمّ فإنّ متى المسكين يقول: «شرح هذه الآية أخذ من العلماء كلّ مأخذ، وأعلنوا أنّ حلّ هذه المعضلة غائب تمامًا من أمام عيونهم، وهذا صحيح للغاية، لأنّه لا يوجد لها حلّ».[٢]

٢ـ إنجيل لوقا

أ- يتناقض إنجيل لوقا مع الحقائق الثابتة حين يقول: «فَقَالَ لَهَا المَلاَكُ: لاَ تخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ الله. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لمِلْكِهِ نهَايَةٌ».[٣]

(١) انظر: إظهار الحق، رحمت الله الهندي، ج٢، ص٣١٩

(٢) الإنجيل بحسب القديس متى، متى المسكين، ص٣٦٣، ٣٦٤

(٣) لوقا ١: ٣٠- ٣٣

والحقيقة أنّ المسيح عليه السلام لم يجلس على كرسي داود ساعة، ولم يحصل له حكومة على آل يعقوب، بل قاموا عليه وأحضروه أمام كرسي بيلاطس، فضربه وأهانه وسلمه إليهم فصلبوه - كما يعتقد النصارى -، على أنه يعلم من الباب السادس من إنجيل يوحنا أنّه كان هاربًا من كونه ملكًا، ولا يتصور الهرب من أمر بعثه الله لأجله على ما بشر جبريل أمّه قبل ولادته.(١)

وإزاء مناقضة إنجيل لوقا للحقيقة نجد أنّ متى المسكين التزم الصمت ولم يعلق بشيء.(٢)

ب- يتناقض إنجيل لوقا مع نفسه في الأصحاح التاسع الفقرة ٥١ - ٥٦ مع الأصحاح الثاني عشر الفقرة ٤٩ - ٥٢ حيث جاء في النص الأوّل: «وَحِينَ تمَّتِ الأَيَّامُ لارْتِفَاعِهِ ثَبَّتَ وَجْهَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَرْسَلَ أَمَامَ وَجْهِهِ رُسُلاً، فَذَهَبُوا وَدَخَلُوا قَرْيَةً لِلسَّامِرِيِّينَ حَتَّى يُعِدُّوا لَهُ. فَلَمْ يَقْبَلُوهُ لأَنَّ وَجْهَهُ كَانَ مُتَّجِهًا نَحْوَ أُورُشَلِيمَ. فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ تِلْمِيذَاهُ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا، قَالاَ: يَارَبُّ، أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُفْنِيَهُمْ، كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا أَيْضًا؟ فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا وَقَالَ: لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ

---

(١) انظر: إظهار الحق، رحمت الله الهندي، ج٢، ص٣٤٤

(٢) انظر: شرحه للفقرة ٣٠ – ٣٣ من الأصحاح الأوّل لإنجيل لوقا، الإنجيل بحسب القديس لوقا، متى المسكين، ص١٠١، ١٠٢

أَيِّ رُوحٍ أَنْـتُمَا! لأَنَّ ابْـنَ الإِنْـسَانِ لَمْ يَـأْتِ لِيُهْلِـكَ أَنْفُـسَ النَّـاسِ، بَـلْ لِيُخَلِّصَ. فَمَضَوْا إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى».(١)

ففي هذا النص تقرير بأنّ المسيح لم يكن ليهلك أنفسًا، ولا ليحرق بالنار، وإنّما جاء بالسلام. ولكننا نجد في الأصحاح الثاني عشر أنّه ينسب للمسيح قـولاً هـو: «جِئْـتُ لأُلْقِـيَ نَـارًا عَـلَى الأَرْضِ، فَـمَاذَا أُرِيـدُ لَـوِ اضْطَرَمَتْ؟ وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا، وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟ أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعْطِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ، أَقُولُ لَكُمْ: بَلِ انْقِسَامًا. لأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الآنَ خَمْسَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مُنْقَسِمِينَ: ثَلاَثَةٌ عَلَى اثْنَيْنِ، وَاثْنَانِ عَلَى ثَلاَثَةٍ».(٢)

وهـذا صريـح أيـضًا في أنّه جـاء يـضرم نـارًا عـلى الأرض، ومـا جـاء بالسلام، وإنّما جاء بالانقسام. وهذا يتناقض مع النص الأوّل.

أمّا موقف متى المسكين مـن هـذا التنـاقض: فهـو يـشير عنـد شرحـه للنص الأوّل أنّ هناك نصًا أضيف لإنجيل لوقـا ولم يكـن في أقـدم النسخ وهو قوله: «وَقَالَ: لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا!».(٣)

فيقول: «اتفق هنا جميع العلـماء وبـلا اسـتثناء أن هـذه الآيـة أُضـيفت مبكّراً جداً بواسطة أحد النُّسَّاخ لأن الـنص الأقـدم لم يحتويهـا. عـلى كـل

(١) لوقا ٩: ٥١- ٥٦

(٢) لوقا ١٢: ٤٩- ٥٢

(٣) لوقا ٩:٥٥

حـال هـي توافـق الموقـف والمعنـى. والكـلام ينتهـي في المخطوطـات القديمة عند: "وانتهرهما"». [١]

فهو يقرّ بالحذف والإضافة في الأناجيل، ولكنّه يحاول الهرب من التناقض بالتأويل البعيد حين يقول في شرحه للنص الثاني: «نار الله التي عرفنا عنها أنها تحُرق وتُضيء، تحُرق كل ما هو شر أو شرير وتضيء كُلُّ بارٍّ وصدِّيق، فهي نار قريبة من عمل الروح القدس الذي إن لم يحُرق الشرير فهو يبكِّت، وإذا صار من نصيب البار فهو يطهِّره ويزكِّيه. وهكذا في الحال يحدث الانقسام والتفرقة، فالذين للحق لا يَطيقون الشر ولا الشرير حتى ولو كانوا في بيت واحد. ويبدو هنا المسيح أنه ينظر إلى الإيمان وهو يمتد ويضطرم من إنسان إلى إنسان ومن أُمة لأُمة"». [٢]

وهذا مخالف للنص لأنّ النص يقول: بإلقاء النار على الأرض، وليس بإلقاء النار في القلب، فتأويله بعيد جدًا، وما دفعه إلى هذا هو الهروب من التناقض.

٣ـ إنجيل يوحنا

ولنأخذ نموذجًا من التناقض في هذا الإنجيل، وهو ما جاء في الأصحاح الأوّل الفقرات ١٩ - ٢٣، وما جاء في الأصحاح الثالث فقرة ٢٨.

---

(١) الإنجيل بحسب القديس لوقا، متى المسكين، ص٤٢٨

(٢) الإنجيل بحسب القديس لوقا، متى المسكين، ص٥٣١

ففي الأصحاح الأوّل يقف يحيى عليه السلام أمام لجنة تقصي الحقائق في السنهدريم فينفي أن يكون هو المسيح، وينفي كذلك أن يكون هو إيليا، وينفي أن يكون مرسلاً؛ يقول الأصحاح: «وَهذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا، حِينَ أَرْسَلَ الْيَهُودُ مِنْ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَلاَوِيِّينَ لِيَسْأَلُوهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ، وَأَقَرَّ: إِنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ. فَسَأَلُوهُ: إِذًا مَاذَا؟ إِيلِيَّا أَنْتَ؟ فَقَالَ: لَسْتُ أَنَا. أَلنَّبِيُّ أَنْتَ؟ فَأَجَابَ: لاَ. فَقَالُوا لَهُ: مَنْ أَنْتَ، لِنُعْطِيَ جَوَابًا لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ؟ قَالَ:«أَنَا صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ!».(١)

ويقول الأصحاح الثالث: «أَنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ تَشْهَدُونَ لِي أَنِّي قُلْتُ: لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ بَلْ إِنِّي مُرْسَلٌ أَمَامَهُ».(٢)

والمرسل أمامه هو إيليا، ففي النص الأوّل يقول: لستُ إيليا، وفي الثاني يقول أنا إيليا، فيلزم صدق أحدهما وكذب الآخر، ولم يستطع أن ينكر متى المسكين هذا التناقض بل قال: «وهنا تعارض واضح أن يقول: لستُ أنا؛ لأنّ كلّ الأناجيل الثلاثة تقول: إنّه إيليا، ومن فم المسيح ... لقد احتار جميع الشراح لإنجيل يوحنا في هذا التعارض؛ لأنّ شخصيّة إيليا مهيأة من الوجوه بحسب تقارير الأنبياء في العهد القديم أن تكون هي الشخصيّة المسيانيّة الأولى قبل المسيح».(٣)

---

(١) يوحنا١: ١٩– ٢٣

(٢) يوحنا ٣: ٢٨

(٣) الإنجيل بحسب القديس يوحنا، متى المسكين، ص١٣١، بتصرف.

ويحاول أن يدفع متى المسكين هذا التعارض فيقول: «ولكن نحن لا نرى أيّ تعارض إذا تمسكنا بأسلوب ق يوحنا السري ... ثمّ يجيء السؤال الثاني على نفس النمط "هل أنت هو إيليا؟" هنا في الحقيقة المعمدان يعلم تمامًا أنّه يوحنا المعمدان فقط، هكذا ولد، وهكذا تسمى، وهكذا عاش، وهكذا دعي بالروح ليؤدي رسالة الشهادة ... ولكنّ المعمدان يعلم بالروح الذي فيه أنّه أخذ من الله قوّة إيليا وبأس روحه».(١)

وفي هذا النص يلتزم متى المسكين كذب يحيى عليه السلام «وحاشى لله أَن يكذب المسِيح وَيحيى عَلَيْهِمَا السَّلَام لَكِن كذب وَالله النذلان مَتى الشرطي ويوحنا الْعيار».(٢)

ثانيًا: التناقض بين الإناجيل الأربعة وموقف متى المسكين منه

لا يتسع مثل هذا البحث لذكر كلّ التناقضات التي تحويها الأناجيل الأربعة، ولذا سأقتصر على بعض منها:

١ـ قصة إحياء ابنة يايرُس

ويايرُس هذا كما يقول متى المسكين «هو أحد رؤساء مجمع كفر ناحوم، والمعروف أن رؤساء المجامع كانوا من كبار الكتبة المرموقين».(٣)

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١٣٢، بتصرف.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج٢، ص٥٥

(٣) الإنجيل بحسب القديس مرقس، متى المسكين، ص٣٥٣

وقد ذكرت قصته وابنته في إنجيل متى ومرقس ولوقا، وملخصها: أنّ ابنة ياريرس قد ماتت فأحياها المسيح عليه السلام على سبيل المعجزة، ولكنّها ذكرت في الأناجيل على وجه متناقض مسيء لعيسى عليه السلام، ويستحيل عقلاً تصديقها، ويمكن تلخيص التناقضات في النقاط التالية:

أ- في إنجيل مرقس جاء يايرس إلى المسيح وأخبره أنّ البنت لم تمت وإنّما هي مريضة ويريد أن يشفيها بوضع يده عليها «وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيرًا قَائِلاً: ابْنَتِي الصَّغِيرَةُ عَلَى آخِرِ نَسَمَةٍ. لَيْتَكَ تَأْتِي وَتَضَعُ يَدَكَ عَلَيْهَا لِتُشْفَى فَتَحْيَا!».[1]

وفي لوقا أيضًا أنّها كانت حيّة، وطلب منه يايرس شفاءها[2]، وبينما هو يتكلم مع المسيح إذ جاءه رسول أخبره أنّ ابنتك ماتت.[3]

إلا أنّ إنجيل متى يجزم أنّ يايرس أتى إلى المسيح ليخبره بأنّ ابنته ماتت فعلاً ويريد أن يضع يده عليها فتحيا «إِذَا رَئِيسٌ قَدْ جَاءَ فَسَجَدَ لَهُ قَائِلاً: إِنَّ ابْنَتِي الآنَ مَاتَتْ، لكِنْ تَعَالَ وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهَا فَتَحْيَا!».[4]

فمرقس ولوقا يقولان إنّها لم تمت، ومتى يقول ماتت. وهذا تناقض لا بدّ أن يكون أحد القولين كذبًا. ويؤكد متى المسكين في شرحه لإنجيل

(١) متى ٩: ١٨

(٢) انظر: لوقا: ٨: ٤١ – ٤٢

(٣) انظر: لوقا: ٨: ٤١ – ٤٢

(٤) مرقس ٥: ٢٣

مرقس أنّ البنت حين ذهب يايرس للمسيح كانت «على شفا الموت»[١]، ويحاول بعد اعترافه بالتناقض الجمع بين المتناقضين حين يقول: «والفارق بين رواية ق. مرقس وق. لوقا ورواية ق. متى هنا هو أنّه في الإنجيلين السالفين قيل للمسيح أن يضع يده عليها فتشفى، أمَّا هنا يضع يده عليها فتقوم من الموت، وهذا راجع إلى أنّ البنت ماتت والمسيح في الطريق إلى بيت هذا الرئيس، **فيبدو أنّه لم ييأس بل طلب طلبه الثاني هذا عن إيمان وتقدير فائق الحد**».[٢]

فهو هنا يجعل يايرس قد طلب طلبه مرتين، مرّة والبنت لم تمت بوضع اليد عليها بالشفاء، ومرّة لما جاءه الخبر بموتها بعد أن جاءه الخبر. وهذا الكلام لم يقله أي واحد من أصحاب الأناجيل، بل و مخالف لروايتهم، فمتى ذكر أنّ بداية مجيء يايرس بأنّه يخبره بأنّ البنت ماتت فعلاً. وعلى كلّ حال فإنّ كلام متى المسكين يلزم منه كذب متى في روايته لأنّه لم يرتضيها وكان الأولى به التصريح بذلك.

ب- أضافت القصة للمسيح كلامًا غير مطابق للواقع، وهو بعد إخباره بموت البنت قال إنّها نائمة «وَكَانَ الجُمِيعُ يَبْكُونَ عَلَيْهَا وَيَلْطِمُونَ. فَقَالَ: لاَ تَبْكُوا. لمَ تمُتْ لكِنَّهَا نَائِمَةٌ. فَضَحِكُوا عَلَيْهِ، عَارِفِينَ أَنَّهَا مَاتَتْ».[٣]

---

(١) الإنجيل بحسب القديس مرقس، متى المسكين، ص٣٥٤

(٢) الإنجيل بحسب القديس متى، متى المسكين، ص٣٣٣

(٣) انظر: لوقا: ٨: ٥٢، ٥٣، وانظر: متى: ٩: ٢٤، ومرقس: ٥: ٣٩

فهـل هـي نائمـة أو ميتـة؟ إن قـالوا ميتـة فيلـزم كـذب المـسيح ﷺ وحاشاه، وهو ما جعل بعض العلماء الغربيين يقولـون بنـوم البنـت ولـيس موتها، وهو ما أنكره عليهم متى المسكين في قوله: «ولكن أكثر ما آلمني في هـذه القـصة المبدعـة ذات الـسلطان المـستهزئ بـالموت واليـأس والـساخرين هـو رأي علـماء الغـرب، إذ يقولـون إنّ البنـت كانـت حقـًّا نائمة».[1]

ثمّ يؤول مقصد المسيح من النـوم بقولـه: «تبـارى العلـماء في إعطـاء معنى النوم الذي قرره المسيح بالنسبة للصبية. فمَنْ قال: إنّه إغـماء، ومَنْ قال: إنّه نوم عميق. ومَنْ قال: إنّه تعبيرٌ عـن المـوت. ولكـن الـصحيح أنّ الصبية لم تمت فعلاً بل انتقلت روحها إلى السماء وهي حيّة هنـاك. فعنـد المسيح والمسيحيّة كلها والكنيسة كتقليد: "أنّه ليس موت بـل انتقـال"، لذلك فالمسيح يقول الحق والصدق، فهو يراها نائمة فقط ويـرى روحهـا أمامه تحيا في ملء الحياة فوق وهو لم يخاطب النائم بـل خاطـب الـروح التي تسمع وتستجيب».[2]

وهـو أيـضًا تأويـل لا يحتملـه الـنص، فهـو لي لعنـق الـنص مـن أجـل إخراجه عن استحالته، فهل لو مات أحدهم وتيقن النـاس مـن موتـه يخـبر أحدهم أنّه لم يمت ويصبح صادقًا؟! إنّه مخالفـة الخـبر الواقـع، وهـو مـا جاء في هذه القصة.

---

(١) الإنجيل بحسب القديس مرقس، متى المسكين، ص٣٥٢

(٢) نفس المصدر السابق، ص٣٦٣

والتأويل بإخراج النص عن دلالته يجيده كلّ أحد، لكنّ الوقوف على دلالته الصحيحة لا يتجرد له إلا طالب الحق.

٢ـ قصة الصلب

هذه القصة بحسب اعتقاد النصارى تتلخص في أنّ المسيح عليه السلام اجتمع بالحواريين وأخبرهم عن التلميذ الخائن، ثمّ بعد الخيانة قبض عليه وصلب ومات وقبر ثمّ خرج من القبر بعد ذلك.

هذه القصة حكاها أصحاب الأناجيل الأربعة، وفي تفاصيلها تناقض كثير نذكر بعضه مع بيان رأي متى المسكين في هذه التناقضات.

أ- متى كان موعد العشاء الأخير؟

يحدد إنجيل يوحنا أنّ ذلك كان قبل الفصح[1]، ويحدد متى ولوقا ومرقس العشاء الأخير بيوم الفصح[2]، وأمّا موقف متى المسكين من إعطاء تاريخين مختلفين، فيعترف بهذا التناقض أولاً، ثمّ يذهب تارة إلى الاعتذار عن كتاب الأناجيل بأنهّم «اجتهدوا لإثبات أنّ الفصح اليهودي قد أكمل وإلى الأبد»[3]، وتارة يقول: «فقد ذكرت الثلاثة أناجيل أنّ الفصح ذُبح الخميس ليلاً صابح الجمعة، أمَّا إنجيل ق. يوحنا فقد ذكر أنّه ذُبح يوم الجمعة في الغروب صابح السبت. وبذلك كان العشاء الأخير قبل الفصح بيوم، أي كان الخميس ١٣ نيسان بالمساء صابح الجمعة بحسب

(١) انظر: يوحنا: ١٣: ١

(٢) انظر: متى: ٢٦: ١٧، ومرقس: ١٤: ١٢، ولوقا: ٢٢: ٧

(٣) الإنجيل بحسب القديس يوحنا، متى المسكين، ص٧٧٥

تاريخ إنجيل ق. يوحنا ... أمَّا الأناجيل الثلاثة فوضعت العشاء الأخير يوم الخميس مساءً في ميعاد ذبح الخروف، وذلك قصدًا منهم لكي يجعلوا العشاء نفسه هو الفصح الجديد، أي حرّكوا موعد الفصح من يوم الجمعة مساءً وجعلوه يوم الخميس مساءً، وطبعًا السبب في ذلك كله هو ق. مرقس الذي أراد أن يجعل الإفخارستيا هي الصلب الحقيقي، أي كسر الخبز مع كسر الجسد، فذلك اتجاه لاهوتي كان يتملَّك عليه بقوّة، وجرى الإنجيليان مجراه لأنّهما أخذا من ق. مرقس هيكل إنجيله وتدبير لاهوته».[١]

ففي هذا النص يرى أنّ متى ولوقا قد تابعا مرقس في خطأه، وقد غيّر مرقس التاريخ تبعًا لهواه، ويأخذنا العجب هو من متى المسكين الذي دافع عن كاتب إنجيل متى ويراه الحواري تلميذ المسيح الذي شاهد ورأى وكان حاضرًا مع التلاميذ، كيف يتبع مرقس وهو الذي لم ير أو رأى على زعمهم وغيّر وبدّل، هل من الأمانة أن يغير حواري تاريخًا رآه من أجل هوى غيره؟! أو أنّه إنسان غير الحواري كان حاطب ليل يأخذ بما سمعه؟!

ب- إنكار بطرس

يذكر أصحاب الأناجيل الأربعة أنّ بطرس ينكر معرفته بالمسيح عليه السلام، بناء على إخبار المسيح له[٢]، ويتفق أصحاب الأناجيل الثلاثة عدا

---

(١) الإنجيل بحسب القديس مرقس، متى المسكين، ص٦١٥ بتصرف.

(٢) انظر: متى: ٢٦: ٣٤، ومرقس: ١٤: ٣٠، ولوقا: ٢٢: ٣٤، ويوحنا: ١٣: ٣٨

مرقس على أنّ الديك يصيح مرّة واحدة حال الإنكار، ويخبر مرقس أنّ الديك يصيح مرتين.[1]

ويذكر متى المسكين هذا الاختلاف في عدد الصيحات قائلاً: «ويلاحظ أنّ ق. مرقس هو الوحيد الذي سجَّل صياح الديك مرتين، لأنّه قد سبق وسجَّل من كلام المسيح في نفس هذا الأصحاح أنّه: قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرَّات (مر ١٤: ٣٠). أمَّا ق. متى وق. لوقا فقد ذكرا صياح الديك مرَّة واحدة».[2]

وسيأتي بعد قليل ترجيح متى المسكين لرواية مرقس على غيره من أصحاب الأناجيل بعد ذكر التناقضات الأخرى، وهي في الذين تعرفوا على بطرس في المرّة الأولى، والثانية، والثالثة.

- ففي المرّة الأولى عرفته جارية عند متى[3]، وعند مرقس الجارية الخاصة برئيس الكهنة[4]، وعند لوقا جارية[5]، وعند يوحنا الجارية المسئولة عن البوّابة.[6]

---

(١) انظر: مرقس: ١٤: ٣٠

(٢) الإنجيل بحسب القديس مرقس، متى المسكين، ص٦٥٦

(٣) انظر: متى: ٢٦: ٦٩

(٤) انظر: مرقس: ١٤: ٦٦

(٥) انظر: لوقا: ٢٢: ٥٦

(٦) انظر: يوحنا: ١٨: ١٧

- في المرّة الثانية عرفته جارية غير الأولى عند متى[١]، ونفس الجارية التي عرفته أوّل مرّة عند مرقس[٢]، وعرفه رجل عند لوقا[٣]، وعرفه جمع حاضر عند يوحنا.[٤]

- في المرّة الثالثة عرفه الحاضرون عند متى[٥] ومرقس[٦]، ورجل غير الرجل الأوّل عند لوقا[٧]، وعبد عند يوحنا.[٨]

ويعلّق متى المسكين على هذه التناقضات بقوله: «والآن لو رجعنا إلى رواية ق. مرقس نجدها مسربلة بالبساطة المتناهية وقد زكّاها العلماء أكثر من الآخرين».[٩]

فهو الآن يخطئ متى ولوقا ويوحنا بالضرورة.

ج- من الذي حمل الصليب؟

---

(١) انظر: متى: ٢٦: ٧١

(٢) انظر: مرقس: ١٤: ٦٩

(٣) انظر: لوقا: ٢٢: ٥٨

(٤) انظر: يوحنا: ١٨: ٢٥

(٥) انظر: متى: ٢٦: ٧٣

(٦) انظر: مرقس: ١٤: ٧٠

(٧) انظر: لوقا: ٢٢: ٥٩

(٨) انظر: يوحنا: ١٨: ٢٦

(٩) الإنجيل بحسب القديس مرقس، متى المسكين، ص٦٥٧

يؤكد إنجيل مرقس[١]، ومتى[٢]، ولوقا[٣]، أنّ الذي حمل الصليب هو سمعان القيرواني، بينما يذهب يوحنا إلى أنّ المسيح هو الذي حمل الصليب.[٤]

إنّ التناقض الموجود بين الأناجيل الثلاثة وإنجيل يوحنا فيمن حمل الصليب يزيده متى المسكين تناقضًا؛ إذ يذكر في شرحه لإنجيل مرقس أنّ مرقس شاهد عيان على حادث الصلب، وأنّه متخصص في الآلام.

«مرقس كان شاهد عيان. وهذا يكشف لنا لماذا وكيف يعطي ق. مرقس بيانات خاصة ودقيقة للغاية في إنجيله عن آلام المسيح بأكثر دقة من كافة الأناجيل. وهذا هو المقطوع به لدى كلّ العلماء أنّ إنجيل ق. مرقس يختص بذكر الآلام. كان القديس مرقس سائرًا وراء المسيح ومرافقًا من بعيد ومن قريب على طول الآلام».[٥]

ومعنى هذا أنّه يرجح روايته في حمل الصليب على رواية يوحنا، لكننا إذا نظرنا في شرحه لإنجيل يوحنا وجدناه يؤكد أنّ المسيح هو الذي حمل صليبه!!! بل يؤكد أنّ المسيح «كان يئن تحت ثقله، وهو الحامل كلّ شيء بكلمة قدرته، عرقه يتصبب ويتساقط من جبينه وهو منحن. فكان

---

(١) انظر: مرقس: ١٥: ٢٠ – ٢٢

(٢) انظر: متى: ٢٧: ٣٢

(٣) انظر: لوقا: ٢٣: ٢٦

(٤) انظر: يوحنا: ١٩: ١٧

(٥) الإنجيل بحسب القديس مرقس، متى المسكين، ص٦٦٨

يتقطر ممزوجًا بالدم، من الأشواك المغروسة حول رأسه، لم يذق طعامًا ولا ماء، ولا نومًا منذ عشاء الخميس. الظهر متورم وجروحه تنزف، والوجه متألم من اللطم، والرأس مرضوض من الضرب، والمهانة التي أحنت نفسه فيه، وبلغ به الحزن حتى الموت قبل الموت».[١]

فكيف يئن من ثقل الصليب، وهو الحامل كلّ شيء بقدرته؟ أليس هذا تناقضًا فجًا فكيف يقدر ولا يقدر في آن واحد؟

ثمّ كيف يكون إلهًا ولا يدفع عن نفسه اللطم والمهانة على النحو الذي يصوره متى المسكين؟

وإذا سلمنا أنّه تألم ليفدي البشرية من الخطيئة كما يزعمون فكيف يحزن على ما حدث له؟ ألم يكن يعرف مهمته فيفرح لإنقاذ البشريّة من الخطيئة الموروثة؟

وهنا يغلق متى المسكين للعقل منافذ النور فيهوى في مستنقع التناقض! فهي ظلمات بعضها فوق بعض.

د- الساعة التي تمّ فيها الصلب

يحددها مرقس بالساعة الثالثة[٢]، ويوحنا بالساعة السادسة[٣]، ولم يستطع متى المسكين التخلّص من هذا التناقض؛ فقال معلقًا على توقيت مرقس: «الساعة الثالثة هنا هي بالتوقيت اليهودي الذي يساوي الآن

---

(١) الإنجيل بحسب القديس يوحنا، متى المسكين، ص١١٩٥

(٢) انظر: مرقس: ١٥: ٢٥

(٣) انظر: يوحنا: ١٩: ١٤

الساعة التاسعة صباحًا، ولكن جاء القديس يوحنا بعد ذلك ويبدو أنّه تعمَّد فكتب أنها الساعة السادسة. وهنا يظهر أنّ ق. مرقس يتبع توقيتًا أو تقليدًا خاصًا غير إنجيل ق. يوحنا، لأنّ الفارق بين التقليدين شاسع للغاية، ما يقرب من خمسين سنة!! وق. مرقس يتبع الساعة الكنسية الليتورجية في أيامه وهي التي لا تزال معمولاً بها في الكنيسة القبطية حتى الآن. فالساعة الثالثة من النهار هي التاسعة صباحًا، والسادسة هي الثانية عشرة والتاسعة هي الثالثة بعد الظهر».[1] وبهذا ظلّ التناقض كما هو.

٣- قيامة عيسى من القبر

يقص أصحاب الأناجيل الأربعة قصة قيامة المسيح من قبره بعد صلبه وقتله كما يزعمون، وهم إذ يقصون هذه القصة يتناقضون فيما بينهم، وتناقضهم كما يلي:

أ- من الذي حضر إلى القبر، ووقت الحضور، والهدف من الحضور؟

- يذهب متى إلى أنّ الذي حضر إلى القبر امرأتان، وذلك عند الفجر، والهدف منه مشاهدة القبر والنظر إليه؛ وفي هذا يقول: «وَبَعْدَ السَّبْتِ، عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ».[2]

---

(١) الإنجيل بحسب القديس مرقس، متى المسكين، ص٦٧٥

(٢) متى ١٨ : ١

- بينما يذهب مرقس إلى أنّ الحاضرات ثلاث نسوة، وقت طلوع الشمس، والهدف من زيارة القبر دهن عيسى بالحنوط؛ وفي هذا يقول: «وَبَعْدَمَا مَضَى السَّبْتُ، اشْتَرَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَسَالُومَةُ، حَنُوطًا لِيَأْتِينَ وَيَدْهَنَّهُ. وَبَاكِرًا جِدًّا فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ إِذْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ».(١)

- وذهب لوقا إلى أنّ الحاضرات هنّ النسوة اللائي كنّ معه في الجليل، ووقت الحضور أوّل الفجر، والهدف دهن عيسى بالحنوط؛ وفي هذا يقول: «ثُمَّ فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، أَوَّلَ الْفَجْرِ، أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ حَامِلاَتٍ الْحُنُوطَ الَّذِي أَعْدَدْنَهُ، وَمَعَهُنَّ أُنَاسٌ».(٢)

- وذهب يوحنا إلى أنّ التي حضرت إلى القبر هي مريم المجدليّة وحدها، وذلك والظلام باق، ولم يحدد هدف الزيارة؛ وفي هذا يقول: «وَفِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ إِلَى الْقَبْرِ بَاكِرًا، وَالظَّلاَمُ بَاق».(٣)

وبهذا؛ فإنّ هناك تناقضًا بخصوص الحاضرات، هل هي امرأة واحدة أو اثنتان أو أكثر؟ وهل كان الحضور حال شروق الشمس أو والظلام باق أو عند الفجر؟ وهل كان الهدف من الزيارة هو دهن جسد المسيح بالطيب أو مشاهدة القبر والزيارة؟

---

(١) مرقس ١٦: ١- ٢

(٢) لوقا ٢٤: ١

(٣) يوحنا ٢٠: ١

وقد ذكر متى المسكين هذا التناقض وحاول الجمع بين الروايات المتناقضة فيقول: «جاءت مريم المجدلية أمَّا الأخرى فهي أُم يعقوب ويوسي. وهما اللتان جلستا قبالة القبر تنظران يوسف وهو يضع الجسد ويدحرج الحجر على فم القبر. أمَّا ق. مرقس فيضيف سالومة (مر ١٦:١) والقديس لوقا يضيف يونّا وأُخريات. أمَّا ق. يوحنا فلا يذكر سوى مريم المجدلية فقط (يو ٢٠:١). والمفارقة بين إنجيل ق. يوحنا الذي يقول إنهنَّ أتين والظلام باقٍ، والقديس مرقس الذي يقول إنّ الشمس قد طلعت وق. متى الذي يقول إنّه كان في الفجر، فالاختلاف ناتج أنّ النسوة قمن باكرًا جدًّا والظلام باقٍ، وأتين إلى الباب (باب غرب المدينة) **وانتظرن هناك إلى أن فتحوا الباب الذي لا يُفتح إلا في شروق الشمس. وهكذا بين أن قمن من بيوتهن في الظلام ووصلن في الفجر عند الباب وخرجن والشمس قد طلعت كانت المفارقة**»[1].

وهذا الجمع بين الروايات لا يصح؛ لأنّ النسوة لو شرعن في الخروج في الظلام، وانتهى بهنّ الدخول إلى شروق الشمس بناء على نظام المدينة، لكنّ دخلن كلهنّ في وقت واحد، وكان الإجماع على أنّ الداخلات إلى القبر جمع من النسوة، لكنّ يوحنا يؤكد أنّ التي دخلت إلى القبر هي مريم المجدليّة وحدها، ومتى يؤكد أنهّن امرأتان، ومرقس يؤكد أنهّنّ ثلاث نسوة، ولوقا جمع من النسوة، ومن ثمّ فإنّ كلام متى المسكين لم يرفع التناقض.

---

(١) الإنجيل بحسب القديس متى، متى المسكين، ص٨٧١

ب- ما الذي شاهده النسوة؟

- يذهب متى إلى أنّ الأرض زلزلت زلـزالاً عظيمًا، ورأت المرأتـان الملاك وهو يدحرج الحجر عن القبر وجلس عليه، وفي هذا يقـول: «وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ».(١)

- ويذهب مرقس أنّ الثلاث نسوة رأين الحجر قد دحرج فدخلن القبر فرأين شابًا جالسًا داخل القبر، وفي هذا يقـول: وَكُنَّ يَقُلْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ: مَنْ يُدَحْرِجُ لَنَا الْحَجَرَ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ؟ فَتَطَلَّعْنَ وَرَأَيْنَ أَنَّ الْحَجَرَ قَدْ دُحْرِجَ! لأَنَّهُ كَانَ عَظِيمًا جِدًّا. وَلمَّا دَخَلْنَ الْقَبْرَ رَأَيْنَ شَابًّا جَالِسًا عَنِ الْيَمِينِ لاَبِسًا حُلَّةً بَيْضَاءَ، فَانْدَهَشْنَ».(٢)

- يذهب لوقا إلى أنّ النسوة قد وجدن الحجر قد دحرج، فدخلن القبر فلم يجدن جسد المسيح، ووجدن رجلين، وفي هذا يقول: «فَوَجَدْنَ الْحَجَرَ مُدَحْرَجًا عَنِ الْقَبْرِ، فَدَخَلْنَ وَلَمْ يَجِدْنَ جَسَدَ الرَّبِّ يَسُوعَ. وَفِيمَا هُنَّ مُحْتَارَاتٌ فِي ذلِكَ، إِذَا رَجُلاَنِ وَقَفَا بِهِنَّ بِثِيَابٍ بَرَّاقَةٍ».(٣)

- يذهب يوحنا إلى أنّ مريم المجدليّة قد وجدت الحجر قد دحرج، وشاهدت ملكين، وجسد المسيح موجودًا، وفي هذا يقـول: «أَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ وَاقِفَةً عِنْدَ الْقَبْرِ خَارِجًا تَبْكِي. وَفِيمَا هِيَ تَبْكِي انْحَنَتْ إِلَى الْقَبْرِ،

---

(١) متى ١٨: ٢

(٢) مرقس ١٦: ٣- ٥

(٣) لوقا ٢٤: ٢ - ٤

فَنَظَرَتْ مَلاَكَيْنِ بِثِيَابٍ بِيضٍ جَالِسَيْنِ وَاحِدًا عِنْدَ الرَّأْسِ وَالآخَرَ عِنْدَ الرِّجْلَيْنِ، حَيْثُ كَانَ جَسَدُ يَسُوعَ مَوْضُوعًا». (١)

فهل كان جسد المسيح موجودًا أو لا؟ وهل كانا ملكين أو ملكًا واحدًا؟ وهل كان الملك جالسًا أو واقفًا؟

هنا يرى متى المسكين أنّ هذه التناقضات لا عبرة بها؛ إذ أنّ هناك شخص يرى وشخص لا يرى، كلّ حسب بصيرته، ومن ثمّ يقول: «ولنا تعليق على هذه الاختلافات، وهو أنّ رؤية ملاك أو ملاكين تحتاج إلى عاملين: الأول انفتاح بصيرة الشخص الذي يرى، فربما اثنان: واحد يرى والثاني لا يرى، والعامل الثاني رغبة الشخص السماوي، سواء كان المسيح أو ملاك، في أن يُظهر ذاته أو أن يلغي ظهوره؛ فله قدرة على ذلك. لذلك لا يمكن التحكُّم في منظر روحي واحد لأكثر من شخص واحد، وحتى هذا ربما يرى أو لا يرى بحسب رغبة الملاك». (٢)

ونسي الأب متى المسكين أنّ الرؤية - بحسب روايات الأناجيل — كانت على سبيل المعجزة، والمعجزة لا يكون فيها أدنى تناقض؛ لأنّ التناقض مدعاة للكذب، فلو قال أحدهم رأيت عصاة موسى تحولت حيّة، وقال من كان بجانبه بل تحولت ورقة، كان هذا مدعاة لتكذيب من لم ير، ومن ثمّ فلا يصح تخريج متى المسكين للقصة، ويبقى التناقض كما هو.

---

(١) يوحنا ٢٠: ١١- ١٢

(٢) الإنجيل بحسب القديس لوقا، متى المسكين، ص٧٣٥، ٧٣٦

ومن أجل هذا التناقض يرجو متى المسكين أن لا يعمل عقله في أحداث القيامة لأنّه سيرى التناقض أمام عينيه، فيقول: «رجاء وتوعية لكلّ قارئ أن لا يُعثر من الاختلافات الواضحة في قصة القيامة، لأن الذي يتحدَّث عن القيامة إنما يتحدَّث عن أمور ليست تحت ضبط العقل والفكر والحواس والعين والتمييز البصري».[1]

وإذا لم يعمل الإنسان عقله فما الذي يفرقه عن العجماوات؟! وبهذا الاعتراف بالتناقض نقف، وإلا سيطول بنا المقام.

(١) الإنجيل بحسب القديس متى، متى المسكين، ص٨١٩

أهمّ النتائج

بعد هذه الجولة في فكر متى المسكين يمكن أن نوجز بعض النتائج في الآتي:

١- يخالف متى المسكين آباء الكنيسة الأرثوذكسيّة في مفهوم الإلهام، فهو عنده إحساس بالحق، ومفسر الإنجيل في إلهامه ككاتبه، وبناء على تفسير الإلهام هذا فإنّ كاتب الإنجيل يقع في الخطأ، ومن ثمّ عدد جملة من أخاء الإنجيليين.

٢- هناك مصادر متعددة لكتاب الأناجيل استقوا معلوماتهم منها، منها ما هو مفقود الآن، وهو ما يجزم به متى المسكين، مخالفًا بذلك معتقد الكنيسة الأرثوذكسيّة الذي يقول بأنّ المصدر الوحيد لكتاب الأناجيل هو الروح القدس.

٣- حاول متى المسكين الدفاع عن فكرة اتصال السند بين كتاب الأناجيل والمسيح عليه السلام كي يضفي مصداقيّة على كلامهم، ولكنّ محاولاته لا تقف أمام النقد العلمي.

٤- أقرّ متى المسكين بوجود حذف وإضافة في الأناجيل.

٥- حاول متى المسكين الدفاع عن وجود قصة المرأة الزانية في إنجيل يوحنا، لكنّ محاولته تلك لا تقع أمام النقد العلمي.

٦- فـيما يتعلـق بوجـود التنـاقض في الأناجيـل فيـتلخص موقـف متـى المسكين في الآتي:

أ- يقر متى المسكين بوقوع التناقض في الأناجيل الأربعة.

ب- يحاول متى المسكين - في الغالب - رفع هذا التناقض.

ج- أحيانا يعترف بأنّ التناقض الموجود ليس له حل.

د- في أحيـان أخـرى يرجـو القـارئ ألا يعمـل عقلـه؛ لأنّ العقـل يجـزم بالتناقض، وذلك عند حديثه عن قيامة المسيح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرست المصادر والمراجع

القرآن الكريم جلّ من أنزله.

١- الاستشهاد في فكر الآباء، القمص أثناسيوس فهمي جورج، تقديم الأنبا بنيامين أسقف المنوفية، كنيسة الشهداء - سلسلة دراسات آبائية، بدون.

٢- الاضطهاد الروماني للمسيحيين بين الاعتقاد الكنسي والفكر السياسي، د. رأفت عبد الحميد، منشور في مجلة الآداب، جامعة الإمارات، العدد الثالث ١٩٨٧م.

٣- إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى: ١٣٠٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية، الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

٤- إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى: ١٣٠٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، الأولى، ١٩٨٩م.

٥- الإمبراطور الرهيب تيبيريوس، أرنست ماسون، ترجمة جمال السيد، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

٦- الإمبراطوريّة الرومانيّة من النشأة إلى الانهيار، د. أحمد غانم حافظ، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ٢٠٠٧م.
٧- الإمبراطورية الرومانية، أ. ب تشارلز ورث، ترجمة رمزي عبده جرجس، مراجعة الدكتور: محمد صقر خفاجة، مكتبة الأسرة، ١٩٩٩ م.
٨- الإنجيل المفقود، كتاب "ك" والأصول المسيحيّة، بيرتون ك. ماك، ترجمة: محمد الجوار، دار الكلمة للنشر ـ دمشق، الأولى، ٢٠٠٧م.
٩- الإنجيل المقدس، طبعة روما ١٥٩١م.
١٠- الإنجيل بحسب القديس لوقا، متى المسكين، دير الأنبا مقار، الأولى، ١٩٩٨م.
١١- الإنجيل بحسب القديس متى، متى المسكين، دير الأنبا مقار، الأولى، ١٩٩٩م.
١٢- الإنجيل بحسب القديس مرقس، الأب متى المسكين، ص٤٢، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، الأولى، ١٩٩٦م.
١٣- الإنجيل بحسب القديس يوحنا، متى المسكين، دير الأنبا مقار، الأولى، ١٩٩٠م.
١٤- بولس وتحريف المسيحيّة، هيم ماكبي، ترجمة: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانيّة.
١٥- تاريخ الإمبراطوريّة الرومانيّة السياسي والحضاري، د. سيد أحمد علي الناصري، دار النهضة العربيّة، القاهرة، الثانية، ١٩٩١م.

١٦- تاريخ البطاركة، الأنبا ساويرس بن المقفع، إعداد الأنبا صمؤيل، دار النعام للطباعة، ١٩٩٩م.
١٧- تاريخ الكنيسة، يوسبايوس القيصري، تعريب القمص مرقص داود، القاهرة الحديثة للطباعة، ١٩٧٩م.
١٨- التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، سعيد بن البطريق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٥م.
١٩- تاريخ المسيحيّة _ فجر المسيحيّة، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للثقافة الأسقفيّة.
٢٠- تاريخ المسيحيّة القديمة والحديثة في ست كتب، يوحنا لورنس، ترجمة: هنري هرس جسب، المطبعة الأمركانيّة في بيروت، ١٨٧٥م.
٢١- تاريخ المسيحيّة، فجر المسيحيّة، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر الكنيسة الأسقفيّة.
٢٢- تحريف مخطوطات الكتاب المقدس، علي الريس، مكتبة النافذة، الأولى، ٢٠٠٦م.
٢٣- تعاليم الرسل الدسقولية، اعداد وتعليق: د. وليم سليمان قلادة، دار الثقافة، القاهرة، الثانية، بدون.
٢٤- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

٢٥- التوراة والأناجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث، دكتور موريس بوكاي، ترجمة علي الجوهري، مكتبة القرآن، عابدين، القاهرة، بدون.

٢٦- حياة بولس، د. ف ب ماير، تعريب: القمص مرقص داود، مكتبة المحبة.

٢٧- دائرة المعارف الكتابيّة، مجموعة من اللاهوتيين، دار الثقافة، القاهرة، الثانية، بدون.

٢٨- الدولة والكنيسة، د. رأفت عبد الحميد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٩- الروح القدس، الرب المحيي، متى المسكين، دير الأنبا مقار، الأولى، ١٩٨١م.

٣٠- شخصيّة استفانوس، د. حنا مهني، مراجعة القمص باخوم حبيب، إصدارات كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا مصر.

٣١- علم الآبائيات باترولوجي، جوهانسن كواكستن، ترجمة: د. جرجس يوسف، مركز باناريون للتراث الآبائي، مصر الجديدة، الأولى، ٢٠١٧م.

٣٢- العهد القديم وعالمه وتحدياته، القس عيسى دياب، دار منهل الحياة، لبنان، الأولى، ٢٠١٤م.

٣٣- الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي – القاهرة
٣٤- فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، د. توفيق الطويل، دار النهضة العربيّة، الرابعة، ١٩٧٩م.
٣٥- قاموس الكتاب المقدس، القس منيس عبد النور وآخرين، دار الثقافة، العاشرة، ١٩٩٥م.
٣٦- قاموس الكتاب المقدس، د جورج بوست، المطبعة الأميريكانيّة، بيروت، ١٩٠١م.
٣٧- القديس بولس الرسول: حياته. لاهوته. أعماله، متى المسكين، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، الأولى، ١٩٩٢م
٣٨- قصة الحضارة، وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى: ١٩٨١ م)، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
٣٩- الكتاب المقدس، الترجمة العربيّة المشتركة، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، الطبعة الثلاثون ١٩٩٣م.
٤٠- الكنيسة والدولة: الطائفيّة والتعصب، متى المسكين، مطبعة دير الأنبا مقار، السابعة ٢٠٠٩م.
٤١- الله، الأستاذ عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، بدون.

٤٢- متى المسكين السيرة الذاتيّة، دير الأنبا مقار، الثالثة، ٢٠١١م.
٤٣- محاضرات في النصرانية، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي – القاهرة، الثالثة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٦ م
٤٤- مختصر تاريخ الأمّة القبطيّة في عصري الوثنية والمسيحيّة، سليم سليمان عبد السيد، المطبعة المصريّة الأهليّة بالقاهرة، ١٩١٤م.
٤٥- مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، مكتبة الإخوة – شبرا مصر، الرابعة ٢٠٠٣م.
٤٦- المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، دار الثقافة المسيحيّة، القاهرة، ١٩٨٠م.
٤٧- مدخل إلى رسائل القديس بولس، الأب فاضل سيداروس اليسوعي، دار المشرق، بيروت، الثانية، ٢٠٠٣م.
٤٨- المدخل لشرح إنجيل يوحنا، متى المسكين، دير الأنبا مقار، الأولى، ١٩٩٠م.
٤٩- المسيحيّة في القرن الأوّل، بيار كانيفيه، منشور ضمن المسيحيّة عبر تاريخها في المشرق، الثانية، ٢٠٠٢م.
٥٠- معالم تاريخ الإنسانيّة، هـ . ج . ولز، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصريّة العامة للكتاب.
٥١- موسوعة الأنبا غريغوريوس، الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي في الكنيسة الأرثوذكسيّة المصرية، جمعيّة الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي، الأولى، ٢٠٠٦م.

٥٢- موسوعة الحضارة المسيحيّة، جورج فيليب الفغالي، دار نبوليس، بيروت، الأولى، ٢٠١٠م.
٥٣- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دكتور عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، الأولى، ١٩٩٩م.
٥٤- النقد الكتابي، البابا شنودة الثالث، الكليّة الإكليريكيّة العباسيّة، القاهرة، الأولى، ٢٠٠٤م.